الأنوار البهية

في الوصايا الإسلامية

دكتور إسماعيل عبد الفتاح

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

الأنوار البهية

في الوصايا الإسلامية

الناشـــر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٥٣٣٨ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى : 3- 429 - 270 - 977
جمع وطبع : **عربية للطباعة والنشر**
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣

الطبعة الأولى : محرم ١٤٢٠ هـ ـ إبريل ١٩٩٩ .



أما قبـــل :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، وبعد :

عندما توقفت أمام حديث قرأته في (كتاب رياض الصالحين) للإمام النووى، يقول :

قال رسول الله ﷺ : « ماحق امرىء مسلم يبيت ليلتين وله شىء يريد أن يوصى فيه إلا وصيته مكتوبة عند رأسه » (رواه البخارى ومسلم) .

صدق رسول الله ﷺ ، توقفت طويلاً أمام عمرى وقد مضى منه نحو أربعين سنة دون أن أنفذ أهم وصايا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فهى وصية الوصايا، ورأس الأمر وأثمن شىء فيه ، فماذا لو قُبضت روحى دون أن أنفذ وصية وأمر رسول الله بإعداد وصية ، وقد نمت نحو ١٥ ألف ليلة دون وصية مكتوبة ، يا للهول !!!

لقد أسرعت إلى كتب الفقه ، وتعبت كثيراً و كثيراً حتى وجدت صيغة الوصية الشرعية لكل مسلم ، نعم وجدتها ، ولكن بعد بحث ودأب ، فماذا عن الرجل العادى ؟! المسلم العادى ، الذى لا تتوفر لديه المراجع والكتب الإسلامية فى التوحيد والفقه والحديث والتفسير !! فوجدت لزاما علىَّ توصيل هذه الأمانة إلى مختلف المسلمين.

وعندما بدأت فى إعداد كتاب عن الوصية الشرعية لكل مسلم، وجدت الأمر أكبر من تفكيرى وتقديرى ، نعم أكبر وأضخم من هذا وذاك ، إن الوصايا فى الإسلام إنما هى دعوة ، نعم دعوة الحق، ودعوة نقل الخبرات والعلم والوعظ والإرشاد والنصيحة والإخلاص ، إنها عالم ساحر من الترغيب والترهيب وبكافة الوسائل والأساليب ، ولكافة الأماكن والعصور .

إن الوصايا الإسلامية جزء من عظمة الإسلام وقوته وديمومته ، إنها صورة من إعجاز الإسلام ، وصورة من أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وتبرز هذه الصورة أكثر وضوحا عندما نرى هادى البشرية ورسول الإنسانية محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلوات وأطيب التسليمات - يهتم بهذه الوصايا وبهذا الجانب اهتماماً خاصّاً ، تبرز قمته فى خطبة حجة الوداع ، بل ويولى جانب الوصايا والنصح والوعظ اهتماماً خاصّاً لتوجيه المسلمين وتعليمهم فى كل موقف من مواقف الحياة . وهو مايدل على بصيرته ، ولم لا ؟ فما هو إلا وحى يوحى ، فآثرت أن أبدأ بهذا الكتاب لتحقيق الاستفادة لأكبر قطاع ممكن من المسلمين بهذه الوصايا الإسلامية الثمينة .

ورأيت أن أضيف لهذه الوصايا الرائعة وصية هامة بتقوى الله - عز وجل - حتى لا يسحقنا غضبه - سبحانه وتعالى - وانتقامه منا - عز وجل - وذلك فى الدنيا قبل الآخرة ، بالابتلاء والعقاب والعذاب .

ولذلك جعلت لهذه الوصية مكانا خاصا فى هذه الدراسة ، لعلها تكون صيحة إنذار وتحذير ، لكل المسلمين ولكافتهم ، حتى يتعظوا مما حدث قبلهم ومما يدور حولهم ، ويتقوا الله حق تقاته ولايموتن إلا وهم مسلمون حقا لا قولاً

إن هذه الجولة الرائعة فى ثنايا الوصايا الإلهية القرآنية ، والوصايا النبوية المحمدية الشريفة لرسول رب العزة - عليه الصلاة والسلام - ووصايا الخلفاء الراشدين والصحابة - رضوان الله عليهم - ووصايا التابعين - رحمهم الله - والدعاة المعاصرين - حفظهم

الله ـ لصرخة حق فى ثنايا ظلم وجهل عالم اليوم ، ولعل هذه الصرخة ترن فى الآذان ، وتقشعر لها الأبدان ، وتخشع بذكرها القلوب والأبصار ، وتخضع لها الجوارح ، فنذكر الله كثيرا ، حتى ينصرنا الله فى كل آن وحين .

وأترك القارىء الكريم فى رحاب هذه الوصايا المباركة ، نفعنا الله بها ...

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ؛ إنك أنت السميع العليم، وبالله التوفيق ، وبه نستعين ، والحمد لله رب العالمين .

الباحث

د / إسماعيل عبد الفتاح

الفصل الأول :

أصول الوصايا الإسلامية

الوصايا فى اللغة وفى القرآن الكريم

الوصايا فى اللغة:

وَصَّى ـ لغويا ـ أى : عهد إليه ، وجعله وصيا يتصرف فى أمره وماله وعياله ، ووصى بالشىء فلاناً ، أى : أمره به وفرضه عليه ، ويقال : وصى الناس بكذا وكذا ، والوصية : هى مايوصَى به ، والجمع وصايا [1].

وتواصى القوم ، أى : أوصى بعضهم بعضا ، فالوصية هى العهد، كما يقول ابن منظور فى لسان العرب[2] « وصى : أوصى الرجل، ووصاه تعنى : عهد إليه ، كما يقول رُؤبة :

وصانى العَجَّاجُ فيما وصَّنى

وأراد وصانى ، وحذف الألف للقافية .

وأوصيت له بشىء ، وأوصيت إليه : إذا جعلته وصيك ، فالوصية : ما أوصيت به ، وسُميت وصية لا تصالها بأمر الميت » . فالوصية : هى أمر وعهد واجب النفاذ ، سواء أكانت لله ـ عز وجل ـ أم لرسوله ، أم لولى الأمر ، أم للرجل فى أهله ، أم للصاحب مع صاحبه أو جاره .

وجاء الإسلام بمعان جديدة للوصية ؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وهو حق كل مسلم فى أن يوصى بنصيب من ماله لينفق فى معاونة الفقراء ، وفى المشروعات الخيرية التى يعود نفعها للمجتمع ، ولكن لا وصية لوارث ، فهى محرمة على الورثة حتى

(١) المعجم الوسيط ، إدارة التراث الإسلامى بدولة قطر . بدون تاريخ ، ج٢ ، ص١٠٣٨

(٢) ابن منظور (لسان العرب) دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، ج٦ ، ص ٤٨٥٣ ، ٤٨٥٤ .

لا يظفر أحدهم بنصيبين ، كما منع الإسلام أن تزيد الوصية عن ثلث الثروة ، وجعل الميراث إجباريا فيما لايقل عن الثلثين .[1]

النصح والوعظ :

وهما من بعض أوجه الوصية :

فالنصح : هو المشورة ، ونصح فلاناً ، أى : أرشده إلى مافيه صلاحه ، فهو ناصح ، والجمع نصح ، والناصح : هو الخالص من كل شيء ، كما أن النصح هو إخلاص المشورة ، والنصيحة : قول فيه دعاء إلى صلاح ونهى عن الفساد[2].

ومما يؤكد أن النصيحة تعتبر وصية عدة أحاديث شريفة ، فعن أبى رقية تميم بن أوس الدارى ـ رضى الله عنه ـ أن النَّبىَّ ﷺ قال : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِـمَنْ ؟ قَالَ : « للهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرسُـولِهِ ، وَلأئمَّةِ الـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »[3] .

وعَنْ جَـرِير بْنِ عبد اللّه ـ رضى اللّه عنه ـ قال : « بَايَـعْـتُ رَسولَ اللّهِ ﷺ عَلى إقَام الصَّلاةِ ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » .[4] .

وعَن أَنَس ـ رضى اللّه عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُـحِبَّ لأخِيهِ مَايُـحِبُّ لِـنَفْسِهِ »[5] .

أما الوعظ فهو نصح وتذكير بالعواقب ، والأمر بالطاعة والتوصية بها ، فالموعظة : هى مايوعظ به من قولٍ أو فعل أو عمل ، والواعظ : من ينصح ويُذكر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.[6]

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة (روح الدين الإسلامى) بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢٧ ، ١٩٨٨م ، راجع ص ٣٢٣.

(٢) د . إبراهيم أنيس وآخرون (المعجم الوسيط) القاهرة ، دار إحياء التراث العربى ، بدون ، ج٢ ، ص ٩٢٥ .

(٣) راوه مسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) د . إبراهيم أنيس ، مرجع سابق ، ص١٠٤٣ج٢.

وقال الله تعالى فى كتابه الكريم ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (١).

ومن أحاديث الرسول فى الوعظ والإرشاد مايلى:

عن أبى وَائِلٍ شَقِيقِ بن سَلَمَةَ قال : كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رضى الله عنه - يُذَكِّرُنَا فى كُلِّ خَمِيسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، فقال : أما إِنَّهُ يَمْنَعنى مِنْ ذلكَ أنى أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ ، وَإِنِّى أَتَخَوَّلُكُمْ بالْموْعِظَةِ ، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بها مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا . (٢)

وعن أبى الْيَقْظَانِ عَمَّار بن يَاسر - رضى الله عنهما - قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُل ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ ، مَئِنَّةٌ مِنْ فقْهِهِ ، فأَطيلوا الصَّلاةَ ، وَأَقْصِروا الخُطْبَةَ » (٣)

وعن العِرْبَاض بن سَارِيَةَ - رضى الله عنه - قال : وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْها القُلُوب ، وَذَرَفَتْ مِنْها العُيُون(٤) .

الوصايا فى القرآن الكريم :

جاءت الوصايا فى آيات الذكر الحكيم بعدة ألفاظ وأشكال ، كلها مُشتقة من لفظ (وصى) ، مثل : وصى ، ووصاكم ، ووصينا ، وتواصوا ، ووصية .. إلخ ، وستعرض هنا لكل هذه الألفاظ لنرى تعمق القرآن الكريم فى ذكر الوصايا :

١ - لفظ (وصى) : جاء مرتين ، مرة فى قول الحق : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾(٥) ، ومرة فى قول القرآن الكريم : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ ﴾(٦) .

والوصية فى الآيتين بمعنى الدين وشريعة الله : الإسلام .

---

(١) النحل ، آية : ١٢٥ .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه مسلم
(٤) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح
(٥) من الآية ١٣٢ من سورة البقرة .
(٦) آية ١٣ من سورة الشورى .

٢ ـ لفظ (وصاكم) : وجاء أربع مرات ، كلها فى سورة الأنعام ، قال الحق ـ عز وجل ـ فيهم : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]، وقوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] ، وقوله الحق : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4].

وكل هذه الألفاظ وصايا بالتقوى ، وبمعنى الدين وشريعة الله.

٣ ـ لفظ (وَصَّيْنا) : وذكره الله ـ عز وجل ـ خمس مرات ، بمعنى عهدنا ، حيث يقول الحق : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[5] ، ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[6] ، ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾[7] ، ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾[8] ، ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾[9] .

٤ ـ لفظ (تواصوا) : أى تعاهدوا ، وتناصحوا ، وجاء بمواقف مختلفة فى كتاب الله ـ عز وجل ـ خمس مرات فى ثلاث آيات بينات ، هى فى قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[10] ، ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟

---

(١) آية ١٤٤ من سورة الأنعام .
(٢) من الآية ١٥١ من الأنعام .
(٣) من الآية ١٥٢ من سورة الأنعام .
(٤) من الآية ١٥٣ من سورة الأنعام
(٥) من الآية ١٣١ من سورة النساء .
(٦) من الآية ٨ من سورة العنكبوت .
(٧) الآية ١٤ من سورة لقمان .
(٨) الآية ١٣ من سورة الشورى .
(٩) من الآية ١٥ من سورة الأحقاف
(١٠) الآية ٥٣ من سورة الذاريات .

﴿ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[1]، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[2].

٥ ـ لفظ (وصية) : وجاء هذا اللفظ ، وبعدة معان ، فى ثمانية مواضع ، فى خمس آيات كريمات فى كتاب الله الكريم ، وذلك على النحو التالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[3]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾[4]، ﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾[5] ﴿ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾[6]، ﴿ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾[7] ﴿ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾[8]، ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[9]، ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[10].

٦ ـ ألفاظ مشتقة من كلمة (وصية) وذكرت فى آيات الذكر الحكيم مرة واحدة، وكلها تعنى العهد أو الأمر أو الوصية الشرعية فى الميراث ، وهذه الألفاظ جاءت على النحو التالى :

---

(١) الآية ١٧ من سورة البلد .
(٢) الآية ٣ من سورة العصر .
(٣) من الآية ١٨٠ من سورة البقرة .
(٤) من الآية ٢٤٠ من سورة البقرة .
(٥) من الآية ١١ من سورة النساء .
(٦) من الآية ١٢ من سورة النساء.
(٧) من الآية ١٢ من سورة النساء.
(٨) من الآية ١٢ من سورة النساء .
(٩) من الآية ١٢ من سورة النساء .
(١٠) من الآية ١٠٦ من سورة المائدة .

أ- توصية : فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

ب- يُوصى : فى قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا ﴾[2].

ج- يوصين : فى قوله تعالى : ﴿ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾[3].

د- يوصيكم : فى قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾[4]

هـ- يوصى : فى قوله تعالى : ﴿ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾[5].

و- توصُون : فى قوله تعالى : ﴿ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾[6].

ز- أوصانى : فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[7]

وهكذا ، نرى أن القرآن الكريم اهتم بالوصية اهتماماً خاصا فى ٣٢ موضعا فى القرآن الكريم ، وبكافة الألفاظ المشتقة من الوصية أو من الفعل (وصى) ، وهذا

---

(١) الآية ٥٠ من سورة يس.
(٢) من الآية ١٢ من سورة النساء
(٣) من الآية ١٢ من سورة النساء .
(٤) من الآية ١١ من سورة النساء .
(٥) من الآية ١١ من سورة النساء .
(٦) من الآية ١٢ من سورة النساء
(٧) الآية ٣١ من سورة مريم .

مايؤكد أن القرآن اهتم بالوصايا الإسلامية سواء لله ولرسوله ولكافة المؤمنين .

ووصايا القرآن الكريم هى أوامر واجبة النفاذ وعهود بين الله ـ جل فى عُلاه ـ وبين عبده المسلم ، يجب على المسلم أن يتعهدها بالرعاية والتنفيذ فورا ، فندعو الله ـ عز وجل ـ أن يدخل نور الوصايا الإسلامية فى قلوبنا ، آمين يارب العالمين .

* * *

وصايا قرآنية مباركة

نستعرض فى هذا المجال عدة وصايا للتذكرة فقط ، فالقرآن كله أوامر ونواهٍ ، وعهود ومواثيق ، ولكن نذكر هنا همسات ووصايا معينة ، من الذكر الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لتكون هذه الوصايا منارة فى حياتنا ، وتكون نوراً نهتدى به إن شاء الله .

وكما رأينا ، فوصايا القرآن الكريم ليست مجرد كلمة (وصى) ومشتقاتها ، بل هى كل الأوامر والنواهى والعهود بين العبد وربه وبين العبد والعبد ، ونسأل الله ـ جل فى عُلاه ـ أن يهدينا إلى نور هذه الوصايا لنعيش حياتنا سعداء إذا عملنا بها بعد أن هدانا الله إلى نورها وجعله فى قلوبنا . ومن هذه الوصايا نختار :

١ ـ التواصى بالحق والتواصى بالصبر :

وهى صفة من صفات المؤمنين : التواصى بالحق والتواصى بالصبر، هذه تبعد المؤمن عن الخسران المبين: قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[1] .

يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه السورة وكيفية التواصى بالحق والصبر:[2]

(العصر : هو الزمان الذى يقع فيه حركات بنى آدم من خير أو شر، وأقسم الله تعالى بذلك على أن الإنسان لفى خسر ، أى : فى خسارة وهلاك ، إلا الذين آمنوا

---

(١) العصر ، الآيات : ١ ـ ٣ .

(٢) الحافظ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، بيروت ، دار القلم ، ج٤ ، ص٤٧٩ .

وعملوا الصالحات ،فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، وتواصوا بالحق ، وهو أداء الطاعات وترك المحرمات ، وتواصوا بالصبر ، أى : على المصائب والأقدار ، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر) .

ويقول الشيخ الصابونى فى تفسيره لهذه الآيات : [1] :

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ أى : أوصى بعضهم بعضاً بالحق ، وهو الخير كله : من الإيمان ، والتصديق ، وعبادة الرحمن ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ أى : وتواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب ، وعلى فعل الطاعات ، وترك المحرمات . . حكم تعالى بالخسار على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة ، وهى : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، فإن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا كمَّل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح ، وكمَّل غيره بالنصح والإرشاد، فيكون قد جمع بين حق الله ، وحق العباد ، وهذا هو السرُّ فى تخصيص هذه الأمور الأربعة .

وهذه وصية ، يجب أن تكون أمام نظر كل مؤمن فى كل وقت ،ألا وهى : التواصى بالحق والتواصى بالصبر .

٢ـ وصايا لقمان ـ عليه السلام ـ لابنه وهو يعظه :

وهذه الوصايا هامة فى حياة كل مسلم ، وقد يقول قائل : إن ابنه كان صغيرا ، والوصية كانت له فى الصغر ، ونقول لهم : إن هذه الوصية كانت لابنه فى الكبر ، وهو شاب أو رجل ؛ لأنها وصايا لا يفهمها إلا كل ذى عقل ،فكيف يأمر ابنه بالصلاة وبالمعروف وينهاه عن المنكر وهو مازال صبيا ؟!

قال الله عز وجل فى تلك النصيحة فى كتابه الكريم :

---

(١) محمد على الصابونى : تفسير جزء عم ، الجزء الثلاثون ، سلسلة (مع أعلام المفسرين) ٦ ، جدة ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٣٤ .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۞ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ . (١)

٣ ـ الاعتصام بحبل الله :

وفى هذا المقام ، يحدثنا القرآن الكريم حديثا عظيما عن فضل الاعتصام بحبل الله والحرص على أخوة الإسلام ، والتى لا تعادلها أخوة، بين كل المسلمين ، حتى لا يطمع فينا أعداء الله ، وأعداء الإسلام ، وهى من الوصايا الخالدة التى يجب أن نضعها أمام أعيننا ليل نهار . وفى ذلك يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢)

٤ ـ التعاون على البر والتقوى :

وإذا كان الإسلام يأمرنا بالاعتصام والأخوة الإسلامية ، فإنه يوصينا، ويُعاهدنا على التعاون الدائم بين المسلمين لما فيه مصلحة المسلمين .

والتعاون على البر والتقوى : إقامة حدود الله والبعد عما نهانا الله عنه ، وهى

(١) الآيات ١٢ إلى ١٩ من سورة لقمان .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

من وصايا القرآن الكريم الخالدة ، والثمينة ، والتى تُحقق مجتمعاً إسلاميا مثاليا ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و يؤمن بالله، هذه الأمور هامة لسلامة حياتنا الإسلامية.

وفى ذلك يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

٥ ـ الإنفاق من طيبات الكسب :

وقد أوصانا القرآن الكريم بالإنفاق من الكسب الطيب الحلال والإنفاق بسخاء فى سبيل الله ، وفى ذلك نجد آيات كثيرة تتحدث عن هذه الوصايا الهامة فى حياتنا :

قال الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران ٩٢]

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾[البقرة: ٢٦٧].

٦ ـ الوصايا بوصل الرحم :

وقد أوصانا القرآن الكريم بوصل الرحم دائما ، والمبادرة إلى زيارة الأقارب وعدم إهمالهم :

قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۞ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾

[محمد : ٢٢ ، ٢٣]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن

---

(١) الآية ٢ من سورة المائدة .

يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٥]

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤].

٧ـ الوصايا بالزهد فى الدنيا وعمل الصالحات من أجل الآخرة:

وفى ذلك يُذكرنا القرآن الكريم بعدد من الوصايا التى يجب أن تكون نبراساً لحياتنا، والتى تعتبر كمعبر للآخرة ، فلابد أن نَجِدَّ ونعمل الصالحات ، ونبتعد عن زينة الدنيا وزخرفها . ونذكر هنا عددا من هذه الوصايا :

قال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۞ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٥ ، ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠]

وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : ١٤]

وقـــال تعـــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ

وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر : ٥]

وقال تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾

[التكاثر : ١ : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤]

٨ـ الوصايا بعدم الكبر والخيلاء :

وفى ذلك العديد من الوصايا التى تنهانا عن التكبر على عباد الله ؛ فإن الإنسان مخلوق ، والكبرياء صفة من صفات المولى ـ عز وجل ـ فلا يجوز لمسلم أن يتكبر على أخيه المسلم :

قال اللّه تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣]

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴾ [الإسراء : ٣٧]

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨].

٩ـ الوصايا بالعفو والحلم :

والوصايا بهذه الأخلاق الكريمة ركز عليها المولى ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤].

وقال تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

[الأعراف : ١٩٩].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[فصلت : ٣٤ ، ٣٥].

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣].

وقال تعالى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر : ٨٥].

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

[النور : ٢٢].

١٠ـ الوصايا بالوفاء بالعهود والمواثيق :

وهذه من شيم المسلم المؤمن ، وهى الوفاء بالعهود والمواثيق ، ولذلك أوصانا الحق ـ جل فى علاه ـ بهذه الوصايا الرائعة من أجل سعادتنا فى الدنيا والآخرة ، وسنختار بعضا منها :

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤]

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ [النحل : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١].

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ ، ٣].

١١ـ الوصايا بإفشاء السلام بين المسلمين :

وفى ذلك يوصينا الحق ـ تبارك وتعالى ـ بإفشاء السلام فيما بيننا .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧].

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور : ٦١].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء : ٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٤ ، ٢٥].

١٢ـ الجهاد فى سبيل الله :

والجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام ، ومن منا لا يحب أن يصل إلى ذروة الإسلام التى تؤدى به إلى الجنة بإذن الله ؟ والجهاد أوصانا القرآن الكريم به من خلال عدة آيات بينات منها :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦].

وقَال تَعَالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦].

وقَال تَعَالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١].

وقَال تَعَالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا

عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١].

وقال تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥ ، ٩٦].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف ١٠ ـ ١٣].

١٣ ـ الوصايا بالسماحة فى البيع والشراء :

وفى ذلك العديد من الوصايا الخالدة التى أوصانا رب العزة بها ، ومنها :

وقال تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود : ٨٥]

وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ١ ـ ٦] .

١٤ ـ الوصية بطلب العلم والاستزادة منه :

وفى ذلك جملة من الوصايا للمسلم بالإقبال على طلب العلم وتعليمه للناس ، ومنها :

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾
[المجادلة : ١١]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

١٥ـ الوصية بالصلاة على رسول الله ﷺ :

ورسول الله ﷺ لابد من الصلاة عليه عند ذكره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفى ذلك وصية خالدة من رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ يبدؤها بنفسه ثم بملائكته ، ثم يوصينا :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

١٦ـ ذكر الله فى كل آن وحين :

وهذه من الوصايا التى يجب أن يرطب لسان المؤمن بها ؛ لما لها من الفوائد الجمة ، ومنها :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾

إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١ ، ٤٢] .

١٧ـ التضرع إلى الله بالدعاء والتسبيح :

وفى ذلك جملة من الوصايا المفصلة ، والتى لا تحتاج إلى تفسير وتعقيب ، ويجب على المسلم المؤمن أن يعمل بها فى كل آن وحين ، وفى أحوال الشدة والرخاء :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . [غافر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢]

.وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ ﴾ [طه : ١٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور ٣٦، ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص : ١٨]

١٨ـ الوصايا باجتناب الغيبة والنميمة :

وهى وصايا من أجل حياة رائعة للمسلم يحفظ خلالها أخاه المسلم أثناء غيابه ، ومن هذه الوصايا التى تُحذرنا من غيبة الآخرين ، وتدعونا لحفظ لساننا فى كل آن وحين إلا بالخير :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [القصص : ٥٥]

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

١٩ـ الوصية بعدم السخرية من المسلمين :

والسخرية من المسلمين واحتقارهم من الأمور المنهى عنها فى الإسلام، وقد أوصانا القرآن الكريم بتجنب السخرية فى لهجة حازمة ، وفى وصية لابد أن نضعها أمامنا دائما من أجل دنيانا وآخرتنا :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] .

٢٠ـ الوصية باجتناب الرياء :

. ومراءاة الناس وعدم الخوف من الله من أشد الأمور التى يُعاقب عليها الإنسان فى دنياه وآخرته ؛ ولذلك أوصانا الله ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم بعدم الرياء ، وبذكر الله دائما :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

٢١ـ الوصية بعدم أكل مال اليتيم :

وهو من المحرمات التى أوصانا الحق فى كتابه الكريم بالبعد عنها :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ [النساء ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [الأنعام ١٥٢]

وقال تعالى : ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

٢٢ـ الوصية بعدم التعامل بالربا :

والربا من الأمور المحرمة تحريما قاطعا ، وله عذاب دنيوى وأخروى ، وأوصانا الحق ـ جل فى علاه ـ بعدم التعامل بالربا أيا كان الموقف والحال ، وأوصانا بالابتعاد عنه واتقاء شبهاته :

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[البقرة ٢٧٥ـ٢٧٨].

٢٣ـ حفظ الأيمان وعدم الحلف فى كل الأمور :

وفى ذلك يوصينا القرآن الكريم فى وصية خالدة جامعة تقول :

قال الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

٢٤ـ الوصية بالصبر :

والصبر من صفات المؤمنين الصالحين ، ولقد حثنا القرآن عليه فى أكثر من موضع منه :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾

[آل عمران : ٢٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣]

وقال تعالى: ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾

[محمد : ٣١] .

٢٥ـ الوصية بتقوى الله فى السر والعلن :

وتقوى الله من الأمور اللازمة لحياة المسلم ، وفى ذلك يُذكرنا القرآن الكريم بهذه الوصية فى أكثر من موضع من آياته البينات التى تنطق بالحق ، وتوصى بتقوى الله فى السر والعلن ؛ ليبارك لنا المولى ـ عز وجل ـ فى حياتنا فى الدنيا ، ويجزينا حسن الثواب فى الآخرة ، بل إن التقوى تزيد القلوب محبة وتُكفر الذنوب عن المسلم ، وفى ذلك العديد من الوصايا القرآنية :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾

[آل عمران : ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن ١٦] وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠]

والآيات فى الأمر بالتقوى كثيرة معلومة . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

٣٦ ـ الوصية بالتوكل على الله الخالق البارىء :

وهذه من الوصايا الهامة من أجل سعادتنا فى حياتنا الدنيا ، وفى آخرتنا ، ونرى الوصايا القرآنية عن رب العزة ـ عز وجل ـ تتعدد فى هذا اليقين بالتوكل على الله ، ولنر بعضا من تلك الوصايا الجامعة :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

والآيات فى الأمر بالتَّوَكُّلِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ﴾ [الطلاق : ٣] أىْ : كَافِيهِ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

٣٧ ـ التفكير فى ملكوت الله عز وجل :

وأيضا من الوصايا الخالدة من أجل استعمال نعمة التفكير والتدبر التى وهبنا الله تعالى ، ألا وهى نعمة العقل ، فالعقل من النعم التى لم ينعم الله على أحد من خلقه بها إلا الإنسان ، وهذه النعمة تستوجب الشكر والحمد والثناء لرب العزة ، وهذا الشكر والثناء يكون بالتفكر فى خلق السموات والأرض وعظمة خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتفكير فى عظيم ملكه ـ عز وجل ـ والعمل على عبادته حق العبادة ، وفى ذلك يذكرنا القرآن الكريم بعديد من الوصايا باستعمال هذه النعمة الكبرى التى من الله بها علينا ،

ولنتابع بعضا يسيرا من هذه الوصايا التى يجب علينا أن نعمل بها حتى لا تكون نعمة العقل التى أعطاها لنا الله نقمة علينا ، وذلك باستعمالها فيما أمرنا الله به من التفكر والتدبر :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ [سبأ : ٤٦].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية : ١٧ ـ ٢١].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا ﴾ الآية [يوسف : ١٠٩]

٢٨ ـ وصايا عظيمة بالمحافظة على سنة الحبيب المصطفى والعمل بها :

وللحبيب المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ نصيب من وصايا القرآن الكريم لنا، ولم لا ؟ أليس رسول رب العزة الذى أرسله بشيرا ونذيرا ؟ ولذلك نستعرض بعض هذه الوصايا لعلنا نتبع سنة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ونعمل بها من أجل الحياة الفاضلة ، ومن أجل سعادتنا فى الدنيا والآخرة :

قَالَ الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

[الحشر : ٧].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

[النجم : ٣، ٤].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١].

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١].

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥].

وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩]. قال العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة .

وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢].

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣].

٢٩ـ الوصية بأداء الأمانة :

والأمانة من صفات المؤمن حقا ، ولذلك أوصانا الله فى كتابه العزيز بها ، وهذه الوصية غالية :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢].

٣٠ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والوصايا بهذا الخصوص متعددة ، ولم لا ؟ فوظيفة المؤمن فى الحياة الدنيا أن

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ووظيفة المسلم أن يدعو إلى الله ، وأن ينصح أخاه المسلم فى كل وقت وحين ، وفى هذه الوصايا التى نختتم بها هذا الجزء نرى عددا من الوصايا الإلهية من كتاب الله الكريم ، والتى تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر :

قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

[الأعراف : ١٩٩].

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١].

وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩].

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾

[الكهف : ٢٩].

وقال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر : ٩٤].

وقال تعالى : ﴿ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥].

وقال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ ، ٣].

وقال تعالى إخباراً عن شُعَيْبٍ ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ ﴾ [هود : ٨٨].

وختاماً :

نكتفى بهذه الوصايا الثلاثين من كتاب الله : الذكر الحكيم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونكتفى بهذه الوصايا الإسلامية الرائعة التى تجعل حياتنا فى هذه الدنيا حياة سعيدة رائعة ، وتجعلها مسخرة لخدمة دين الله ـ عز وجل ـ وعبادته حق العبادة ، وذلك من خلال التعامل بالأخلاق الفاضلة مع الناس ، والتعامل بما يرضى الله ورسوله ، والتعامل بأنعم الله بما يجعلها مسخرة حقا للهدف الذى خُلقنا من أجله .

إن هذه الوصايا القرآنية المباركة هى نور يهدى إلى الحق ، ولذا حق علينا كمسلمين موحدين أن نعمل بها ونتخذها طريقا ومسلكا نحو حياة فاضلة ، نسعد بها فى دنيانا وآخرتنا إن شاء الله رب العالمين .

وبالطبع فإن القرآن الكريم كله وصايا خالدة ، وقد اقتبسنا هذه الوصايا الثلاثين ؛ علنا ننتفع بها ، وتنفعنا بالعمل بها ، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالح متين .

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، إنه هو السميع العليم ، مالك يوم الدين ، الرحمن الرحيم .

ثالثاً : وصايا إسلامية خالدة

للمصطفى عليه الصلاة والسلام

كل قول أو فعل أو تقرير لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصية لأمته ، ولكنه وصية تفسر القرآن الكريم ، أو تُكمل أعمال المسلم ليكون مسلماً صحيحاً يرضى عنه رب العزة ، ولم لا ؟ أليس هو الهادى البشير والضياء المنير ، وقد أمرنا هو ذاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأمرنا الله ـ عز وجل ـ أن نتبع سنة الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؟

ولقد اجتمع لرسول رب العزة ـ عليه الصلاة والسلام ـ مكارم الأخلاق ، والشجاعة ، والكرم ، والبصيرة ، ولقد بلغ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الرسالة، ونصح الأمة ، وجمع الكلمة ، وفتح مع صحابته القلوب بتوحيدهم ، كما فتحوا البلاد بجهادهم ؛ ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد (١) .

وفى ذلك يقول رب العزة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢) ، ويقول ـ جل جلاله ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التى تحثنا على اتباع هديه الشريف ـ عليه الصلاة والسلام ـ واتباع وصاياه الثمينة للفوز بالسعادة فى الدنيا وفى الآخرة ، ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة :

---

(١) راجع : محمد بن جميل زينو : مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع . جدة ، مكتبة العلم ، بدون تاريخ ، ص ٣١ .

(٢) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

(٣) الآية ١ من سورة الحجرات .

ـ « إنـى قـد تركت فيكم مـا إن اعتصمتم بـه لن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه»[1] .

ـ «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها»[2].

ـ « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله » [3] .

ـ « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله »[4] (أى لا تزيدوا فى مدحى) .

ـ « من رَغِبَ عن سُنتى فليس منى »[5] .

ـ « إنما بُعِثْتُ لأُتمم مكارم الأخلاق »[6].

ولذلك فإن جميع سُنن الحبيب المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ واجبة النفاذ ، وهى عهد من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى أمته ، ويجب عليهم أن ينفذوها ، ولم لا ؟ أليست سنن الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ هى وصايا ومواثيق واجب اتباعها ؟! .

ولهذا فإن الإبحار فى سنن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إبحار شاق ؛ لأن كل كلمة تعنى وصية واجبة النفاذ فورا ، ويجب الأخذ بها من قبل المؤمنين ، ولذلك فإن اختيار بعض من هذه الوصايا سيكون بلا شك له جوانبه السلبية ؛ ولذلك فإننى سأتبع طريقا يسيرا للخروج من هذا المأزق المنهجى ، وهو كيفية اختيار بعض من وصايا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى هذا المقام ؟! وهذا الطريق يتلخص فى إيراد بعض الأحاديث الشريفة التى تحمل كلمة الوصية ومشتقاتها ، ثم إيراد بعض الأحاديث الشريفة التى تتضمن نصحا أو موعظة

---

(١) رواه الحاكم ، وصححه الألبانى .
(٢) رواه الإمام أحمد .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه البخارى ومسلم
(٦)صححه الحاكم ووافقه الذهبى .

مباشرة، ثم بعد ذلك أُوردُ بعض الأحاديث التى تحث على مكارم الأخلاق أو التى ترْشُد من سلوك المسلم المؤمن ،عسى الله أن ينفعنا بها فى حياتنا، آمين يارب العالمين.

١ ـ وصاياه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حجة الوداع :

أوصى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حجة الوداع المسلمين بالعديد من الوصايا الثمينة ، فى خطبة جامعة حكيمة ، قال فيها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (١) :

قال ﷺ : « الحمدُ لله ، نَحْمَده ونَستعينُه ، ونستغفرهُ ونتوب إليه ، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا ، ومِن سيئات أعمالنا . مَن يَهْدِ الله فلا مُضِلّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادِىَ له . وأشهَدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحْدَه لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه ، أُوصِيكم عِبَادَ الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير ، أما بعد : أيها الناس : اسمعوا منِّى أبيِّنْ لكم ، فإنِّى لا أدرِى ، لعَلِّى لا ألقاكم بعدَ عامى هذا فى موقفِى هذا . أيُّها الناس : إنَّ دماءَكم وأموالَكم حرام عليكم إلى أنْ تلقَوْا ربَّكمْ ، كحُرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا هل بَلَّغتُ ؟ اللّهم اشهَدْ

فَمَنْ كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى الذى ائتَمنَه عليها . وإنَّ رِبا الجاهليّةِ موضوع ، وإنّ أوّل رباً أبدأُ به رباً عمِّى العباسِ بنِ عبد المطَّلب . وإنَّ دماءَ الجاهلية موضوعة ، وإنّ أولَ دم نبدأ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب . وإنَّ مآثِرَ الجاهلية موضوعة، غيرَ السِّدانة والسِّقاية . والعَمْد قوَد ، وشِبْهُ العَمد ماقُتل بالعصا والحجَر، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليّة .

أيُّها الناس : إنّ الشيطان قد يَئس أن يُعبَد فى أرضكم هذه ، ولكنّه قد رضى أن يُطاعَ فيما سوى ذلك مما تَحْقرون من أعمالكم .

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، الجزء الثانى ، ص ٣١ـ٣٣ .

أيُّها الناس : إن النَّسِيء زيادةٌ فى الكُفر يُضَلُّ به الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلّونه عَاماً ويُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ اللهُ فَيُحِلّوا مَاحَرَمَ اللهُ . إنّ الزّمانَ قد استدار كهيئته يَوْمَ خَلق اللهُ السَّمٰواتِ والأرض . وإنّ عِدَّةَ الشهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمواتِ وَالأَرْض ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثلاثة متواليات وواحدٌ فرد : ذو القَعدة ، وذو الحِجَّة ، والمحرم ، ورجَبٌ الذى بين جُمادى وشعبان . ألا هَلْ بلَّغتُ ؟ اللَّهم اشهد !

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكن عليهن حق ، لكم عليهن ألا يوطئن فُرُشَكُمْ غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرا . ألا هل بلغت ؟! اللهم اشهد .

أيُّها الناس : إنّما المؤمِنُونَ إخوَةٌ، ولا يحِلُّ لامرئٍ مُسْلِمٍ مالُ أخيه إلاّ عن طيب نفس منه .

ألاَ هل بلَّغتُ ؟ اللهم اشهد

فلا ترجِعُنَّ بعدي كُفّارا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض ، فإنى قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لم تَضِلُّوا بعدَه : كتابَ الله .

ألاَ هل بلَّغت؟ اللهم اشهد !

أيُّها الناس : إنَّ ربّكم واحد ؛ وإنَّ أباكم احد ؛ كلّكم لآدم وآدمُ مِن تراب . أكرمُكم عِنْدَ الله أتقاكُم ، إنّ الله عليم خبيرٌ . وليس لعربيّ على عجَميّ فضلٌ إلا بالتّقوى . ألاَ هل بلّغتُ ؟ اللهمَّ اشهد !

قالوا : نعم . قال : فليبلِّغ الشّاهدُ الغائب .

أيُّها الناس : إنّ الله قَسَم لكلِّ وارث نصيبَه من الميراث ، فلا تجوز لوارث وصيّةٌ ، ولا تجوز وصيّةٌ فى أكثَر من الثُّلُث . والوَلدُ للفِراش ، وللعاهر الحجَرُ . من ادَّعى إلى غير أبيه ، أو تولَّى غير مَواليه فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، لا يُقبل مِنْه صَرفٌ ولا عَدْلٌ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢ـ وصية بليغة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ومن الوصايا البليغة لرسول الله ﷺ هذه الوصية الحكيمة التى سُميت باسم يدل على معناها ،ألا وهو (جوامع الكلم) والتى يحدثنا فيها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن أمور عديدة ؛ لنفوز بالمزايا الفريدة التى نفوز من خلالها بالسعادة فى الدنيا والآخرة ، ولذلك وجب علينا اتباع هذه الوصية الخالدة الجامعة ، والتى توصينا بالعديد من الأمور ، قال فيها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ[1] :

« أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ﷺ ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير العلم ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قَلَّ وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبرا ، و منهم من لا يذكر الله إلا هجرا ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما وقر فى القلوب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثاء جهنم ، والكنز كَيٌّ من النار ، والشعر من مزامير إبليس ، والخمر جُمَّـاع الإثم ، والنساء حبالة الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المأكل مال اليتيم ، والسعيد من وعِظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمِّه ،

---

(١) نقلها :أبو الحسن على الحسنى الندوى ، فى كتابه . (مختارات من أدب العرب) جدة ، دار الشروق ، ١٩٨٦م ، ط٣ ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، عن البيهقى فى الدلائل ، وابن عساكر : عن عقبة بن عامر الجهنى .

وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع ، والأمر بآخرته ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يَتَألَّ على الله يُكذِّبْه ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغَيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرَّزِيَّة يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ، ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى . أستغفر الله لى ولكم» صدق رسول الله .

٣- الوصية ببر الوالدين :

وهى من أولى وأهم الوصايا التى أمرنا بها الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، ومن وصايا الرسول ﷺفى ذلك الأمر :

عن أبى بكرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟» - ثلاثا - قالوا : بلى يارسول الله !! قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وجلس ، وكان متكئا « ألا وقول الزور » ما زال يكررها حتى قلت : ليته سكت .(١)

عن أبى الدرداء ؛ قال : أوصانى رسول الله ﷺ بتسع : « لا تشرك بالله شيئا ، وإن قُطِّعتَ ، أو حرقت ، ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمدا ، ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة ، ولا تشربن الخمر فإنها مفتاح كل شر ، وأطع والديك ، وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما ، ولا تنازعن ولاة الأمر ، وإن رأيت أنك أنت ، ولا تَفِرَّ من الزحف وإن هلكت ، وَفِّرْ أصحابك ، وأنفق من طولك على أهلك ، ولا ترفع عصاك على أهلك ، وأخفهم فى الله عز وجل » (٢).

٤- وصايا بعدم تناول الطعام أكثر من مرة واحدة فى اليوم :

حثنا رسول الله ﷺ على ذلك فى حديث أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - فعنها قالت : رآنى رسول الله وقد أكلت فى اليوم مرتين ، فقال : « يا عائشة : أما

---

(١) أخرجة البخارى .

(٢) أخرجه البخارى .

تحبين أن يكون لك شغل إلا جوفك ؟ الأكل فى اليوم مرتين من الإسراف ، والله لايحب المسرفين » [1]

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وهما من أهم واجبات المسلم ، وقد حثنا رسول الله ﷺ على ذلك : [2] أخرج الطبرانى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : دخل رسول الله ﷺ فقال : « يا ابن مسعود» قلت : لبيك يا رسول الله ! ـ قالها ثلاثا ـ قال : « تدرى أى الناس أفضل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا فى دينهم » ثم قال : «يا ابن مسعود !» قلت : لبيك يا رسول الله !قال: « تدرى أى الناس أعلم؟» قلت : الله ورسوله أعلم ، قال :« إن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصراً فى العمل ، وإن كان يزحف على استه زحفاً ، واختلف من كان قبلى على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سائرهن ، فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دينهم ودين عيسى بن مريم وأخذوهم وقتلوهم وقطعوهم بالمناشير ، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم فيدعوهم إلى الله ودين عيسى بن مريم فساحوا فى البلاد وترهبوا ، قال : وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ٢٧] » فقال النبى ﷺ : «من امن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها ، حق رعايتها ، ومن لم يتبعنى فأولئك هم الهالكون » .

٦ ـ وصايا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لبعض الرجال من الصحابة :

وهذه جملة من الوصايا التى نقلها الجاحظ من كتب السيرة عن رسول رب العزة ـ عليه الصلاة والسلام ـ لبعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وهى وصايا جاءت نتيجة لسؤال بعض هؤلاء الصحابة لحرصهم على الانتفاع بعلم رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد أجاب الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أسئلة

---

(١) أخرجه البيهقى .

(٢) راجع (حياة الصحابة) لمحمد يوسف الكاندهلوى ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ج٢ ص ٥٢١، وهو حديث رواه الطبرانى .

الصحابة بإعطائهم الوصايا المفيدة التى يجب علينا تذكرها دائما وعدم نسيانها وعدم البعد عنها ؛ لأنها منهج قويم للحق وتحقيق الذات الكاملة للإنسان المسلم الذى يخشى ربه ويعمل لدنياه وآخرته، ومن هذه الوصايا (1) :

قال له رجل : يارسولَ الله ، أوصِنِى بشىء ينفعنى الله به . قال : « أكثِرْ ذِكْرَ الْـموْت يُسْلِكَ عن الدُّنيا ، وعليك بالشكر ؛ فإنه يزيد فى النعمة ، وأكْثر الدُّعاء ؛ فإنّك لا تدرِى متى يُستجَاب لك ، وإيَّاك والبَغْى ؛ فإنّ الله قد قَضَى أنّه مَن بُغى عليه لينصُرنَّه الله ، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [٢٣ يونس] وإيَّاك والْـمكْـر ؛ فإنّ الله قد قَضَى ألاَّ يَحيق المكرُ السَّـىِّءُ إلا بأهْله » .

وقيل : يارسول الله : أىُّ الأعمالِ أفضل ؟ فقال : « اجتناب المحارم، وألا يَزَالَ فُوك رَطْباً مِن ذِكر الله » .

وقيل : أىُّ الأصحاب أفضل ؟ قال : « الذى إذا ذكَرْتَ أعانَك ؛ وإذا نسيت ذكَّرك » .

وقيل : أىُّ الناس شرٌّ ؟ قال : « العلماءُ إذا فسدوا » .

وقال : « دَبَّ إليكم داء الأمم مِن قَبْلِكم : الحسد والبَغْضاء . والبَغْضاء هى الحالقة ، حالقة الدِّين ، لا أقول حالقة الشَّعر . والذى نَفْسُ مُحمَّدٍ بيده لا تُؤْمنون حتّى تَحابُّوا . ألا أُنـبِّئكم بأمرٍ إذا فَعلتموه تحابَبْتم ؟ » فقالوا : بلى يارسول الله . قال : « أَفْشوا السَّلام ، وَصِلُوا الأرحام » .

وقال: « تَهادَوْا تَحابُّوا » .

وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « أوصاني ربِّى بتسع : أوْصانى بالإخلاص فى السِّر والعَلانية ، وبالعَدْل فى الرِّضَا والغضَب ، وبالقَصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفُوَ عَمَّنْ ظلمنى ، وأُعطِىَ مَن حرمنى ، وأَصِلَ مَن قطَعَنى ، وأن يكون صَمْتى فِكْراً ، ونطقى ذِكْراً ، ونَظَرِى عِبَرا » .

---

(1) الجاحظ (البيان والتبيين) مرجع سابق ، ص ٢٢ ـ ٢٤ ، ج٢ .

وثلاثُ كلماتٍ رُوِيت مُرسلةً ، وقد رُوِيت لأقوامٍ شتّى ، وقد يجوز أن يكونوا حكوها ولم يُسْنِدُوها . منها قوله : « لوْ تكاشَفْتم لـمَـا تَدافَنْتم » .

ومنها قوله : « النّاس بأزمانهم أشبَهُ منهم بآبائهم » . ومنها قوله : « ماهلَكَ امرؤٌ عَرَفَ قدره » .

وقد ذكر إسماعيل بن عَيّاش ، عن عبد الله بن دينار قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله كَرِه لكم العَبَثَ فى الصَّلاة ، والرَّفَثَ فى الصّيام ، والضَّحِكَ عند المقابر » . وقال : « إذا أذَّنْتَ فترَسَّلْ ، وإذا أقَمْتَ فاحْذِمْ » .

وحدَّثنا إسماعيل بن عَيَّاش الحمصى ، عن الحسن بن دينار ، عن الخصيب بن جحدر ، عن رجل ، عن مُعاذ بن جَبَل قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس مِن أخلاق المؤمن الملَقُ إلا فى طَلَب العلم » .

ومن حديث أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال : « قَيِّدوا العلْمَ بالكتاب » . وقال : « يقول الله : لولا رجالٌ خُشّع ، وصبيانٌ رُضَّع ، وبهائمُ رُتَّع ، لصَببتُ عليكم العذابَ صَبّا » .

٧ـ الوصية بالنساء :

ومن أهم وصايا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الوصية بالخير للنساء ؛ لأنهن ضعيفات لا يقوين على شيء عنيف ، ولذلك طلب الرسول من أمته أن ترحم النساء وأن تراعى خلقهن ، وأن يحسنوا معاشرتهن ومعاملتهن ، ورأينا فيما سبق كيف أوصانا رسول رب العزة بالنساء فى حجة الوداع ، والآن نرى بعضا من وصايا الرسول ﷺ فى النساء ، وفى معاملتهن ومعاشرتهن :

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «اسْتَـوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْـراً ؛ فَإِنَّ المَـرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْـوَجَ مَا فى الضِّـلَعِ أَعْلاهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَـرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَـمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالـنِّسَاءِ»[١] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخارى ومسلم .

وعن عَمْـرِو بن الأَحْوَصِ الْجُشَمِيِّ - رضى الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فى حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ الله تعالى ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وذَكَّـرَ وَوَعَظَ ، ثُمَّ قال : « أَلا وَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْراً ؛ فَإِنَّمَـا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدكُمْ لَيْسَ تَـمْـلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْـرَ ذلِكَ إلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُـبَيِّـنَةٍ ، فإن فَعَلْنَ فَاهْـجُـرُوهُنَّ فى المَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَـرْباً غَيْـرَ مُبَرِّحٍ فإنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبيلاً ؛ أَلا إنَّ لَكُمْ عَلَى نِسائِكُمْ حَقّاً، وَلِنِسَائِكُـمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً ؛ فَحَقُّكُـمْ عَلَيْهِنَّ أن لا يُوطِـئْـنَ فُـرُشَكُمْ مَنْ تَكْـرَهُونَ ، وَلا يَأْذَنَّ فى بُيُـوتِكُمْ لِـمَنْ تَكْرَهُونَ ، أَلا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُـمْ أَنْ تُـحْـسِنُوا إِلَـيْهِنَّ فِى كِسْـوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ » (١).

٨ - الوصية بعدم سب الصحابة :

والصحابة الكرام قد حصلوا على شهادة من رب العزة : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ، وهم السابقون الذين حملوا مسئولية نشر الدين الإسلامى ، ونشر نور الحق الإسلامى ، ونشر (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلى مشارق الأرض ومغاربها، الصحابة الكرام البررة هم الذين حملوا أمانة توصيل الرسالة إلينا - رضوان الله عليهم أجمعين - أوصانا الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعدم سبهم ولعنهم ، ولم لا ؟ فلقد تأسوا بالرسول - عليه الصلاة والسلام - وتمسكوا بهديه ، وتربوا على يديه من خلال الوصايا التى أوصاهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - بها فى كل آن وحين ، وهم الذين دافعوا عن الإسلام فى مهده حتى أعزه الله على أيديهم، وفى ذلك تروى لنا أمنا عائشة - رضى الله عنها - : قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - : «لا تسبوا أصحابى !!! لعن الله من سب أصحابى »(٢) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩- الوصية بحب المساكين :

وهى وصية خالدة من الرسول - عليه الصلاة والسلام - لكافة المسلمين ، وهى

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه الطبرانى ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٥٢١ ، ج٢

وصية أوصى بها الرسول الكريم ﷺ لأكثر من واحد من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - فقال أبو الدرداء - رضى الله عنه - : « **أوصانى رسول الله ﷺ أن أحب المساكين وأن أدنو منهم** »[1] .

وفى رواية أخرى يقول أبو الدرداء - رضى الله عنه - : « **أمرنى خليلى ﷺ بسبع : أمرنى بحب المساكين والدنو منهم ، وأمرنى أن أنظر إلى من هو دونى ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأمرنى أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرنى أن لا أسأل أحدا شيئا ؛ وأمرنى أن أقول بالحق وإن كان مرا ، وأمرنى أن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأمرنى أن أُكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله ، فإنهم من كنز حول العرش** »[2] .

وهذه الوصية الجامعة الشاملة تأمر المسلم بحب الخير لصغير الأمة وكبيرها ، ضعيفها وقويها ، وتحبب الأمة فى كل مايؤدى لخير دينها ودنياها [3] .

وحب المساكين يجعل القلوب رقيقة مرهفة ، ويجعل الإيمان يزداد فى القلب ، ولم لا ؟ فالمسلم عندما يجلس مع المسكين ويتعرف على أحواله ، فيعرف أنعم الله عليه ، ويعرف أن الله أكرمه ونعمه ، فيقبل على الله شاكرا فضله ونعمه ، فحب المساكين والدنو منهم أمر من رسولنا الكريم ، وسنة وعهد ووصية يجب اتباعها .

١٠ـ الوصية بالصدق وعدم الكذب :

وفى ذلك عشرات الوصايا من رسول الله ﷺ ، والصدق مُنْجٍ من الهلاك فى الدنيا والآخرة ، والصدق لايمكن أبدا أن يضر صاحبه ، ويكتب الصادق عند الله صديقا ، وهذه من الأمور الهامة فى حياتنا ، والتى قد يراها بعضنا عرضية ، فتعويد الناس على الصدق قولا وفعلا ، وعدم الإتيان أمامهم - وأمام الأطفال خصوصاً - بالكذب قولا وفعلا ، والصدق أمامهم دائما من الأمور التى تجعل تنشئة الناس على الصدق أمرا رائعا ، وتجعلهم سعداء فى حياتهم ، بالصدق ، وتجعل استقامة

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام أحمد والطبرانى .

(٣) راجع فى ذلك الموضوع : الحافظ أبا فرح بن رجب (اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى) الطائف ، مكتبة المؤيد . ١٤٠٥هـ ، ص ٧٥ـ٨٨ .

حياتهم أمرا ميسورا ، وفى ذلك عدة توجيهات ووصايا إسلامية فى الصدق وعدم الكذب وتعويد أطفالنا على ذلك وتشجيعهم على قول الصدق :

- قال رسول الله ﷺ : « من قال لصبى : تعال هاك (خذ) ثم لم يعطه ، فهى كذبة »[1]

وهذا الحديث يمنعنا أن نكذب على أطفالنا ولو مازحين ، وإذا وعدناهم فلنوف بوعدنا ، ويدلنا على تعليم الأولاد الصدق قولا وعملا .

والكذب مضاد للصدق ، فإذا كان الصدق مُنْجيًا من المهالك ، فإن الكذب مؤد إليها ؛ ولذلك كانت عاقبة الكذب والمكذبين أليمة فى الدنيا وأليمة فى الآخرة .

ونختار من أحاديث رسول الله ﷺ مايلى فى الوصية بالصدق وعدم الكذب :

فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ : « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[2] وعن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - قال : حفظت من النبى ﷺ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ؛ فإن الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة » رواه الترمذى .

وعن أبى خالد حكيم بن حزام - رضى الله عنه - قال : قال النبى ﷺ : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما »[3]

١١ - الاستعانة بالله والتوكل عليه :

وفى هذه الأمور الهامة فى حياتنا الكثير من الوصايا ؛ حتى يكون إسلامنا صحيحا ، وذلك باليقين الكامل بالكلمة الطيبة : لا إله إلا الله ، ولا معبود ولا

---

(١) صحيح ، رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه الإمام البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى .

مضر ولا معز سواه عز وجل ، وهذا اليقين بالله والاستعانة به والتوكل عليه من أسباب السعادة فى الدنيا ، وفى الآخرة يكون لنا الأجر العظيم . وفى هذا المجال نذكر وصية رسول الله إلى أحد الصبيان ـ وهو ابن عمه ـ : فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال كُنت خلف النبى ﷺ يوما ، فقال : « **يا غلام : إنِّى أُعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف** »[1] .

ومن هذه الوصية الخالدة لرسول الله ﷺ نلحظ اهتمامه بتوجيه الغلمان والصبيان حتى يتشربوا الدين الإسلامى ، ويستعينوا بالله وحده ، ويزدادوا يقينا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، فاليقين بأنه لا إله إلا الله ، والاستعانة بالله فى كل الأمور مفتاح الفوز كما أوضحه هادى البشرية النبى ﷺ، وهى وصية يجب العمل بها فى كل آن وحين .

١٢ـ إكرام الضيف ووصل الرحم :

وفى ذلك وصية خالدة جامعة ، نختارها من بين الوصايا الثمينة لرسول الله ﷺ فى علامات إيمان المؤمن: « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَـومِ الآخِرِ فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْـيَقُلْ خَـيْـراً أَوْ لِيَصْمُتْ** »[2]

١٣ـ التقوى والدين والأمانة :

وإذا كنا سنخصص الباب الثانى من هذا الكتاب للتقوى ، إلا أننى أقف مشدوها أمام حديث أو حديثين لرسول رب العزة ـ عليه أفضل الصلاة وأطيب التسليمات ـ وهى أحاديث قيلت فى الوداع ، أى وداع الأصدقاء والأحباب ، وهذان الحديثان يحثان على التمسك بالدين والتقوى والأمانة :

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الإمام أحمد برواية أخرى وبإسناد صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

عن سالم بنِ عَبْدِ الله بن عُـمَرَ أَنَّ عبدَ اللهِ بن عُـمَرَ - رضى الله عنهما - كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَراً : ادْنُ مِنِّى حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يوَدِّعُنَا، فيقُولُ : « أَسْتَوْدِعُ الله دينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ »(١).

وعن أنس - رضى اللّه عنه - قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلى النبىِّ ﷺ فقال : يا رَسُولَ الله : إنى أُرِيدُ سَفَراً ، فَزَوِّدْنى ، فَقَال : « زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى » قال : زِدْنى ، قال : «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ » ، قال : زِدْنى ، قال : « وَيَسَّرَ لكَ الخيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ »(٢).

١٤ـ الاستخارة لله عز وجل :

وهى من الأمور المستحبة لقضاء الحاجات ، وفى ذلك حديث شريف جامع يقول :

عن جابرٍ - رضى الله عنه - قال : كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فى الأُمُورِ كُلِّهَا كالسُّورَةِ مِنَ القُرآنِ ، يَقُولُ : « إذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأمر ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ ، ثم ليقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ ، وَأَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إنْ كنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا الأمرَ خَيْرٌ لى فى دِينى وَمَعَاشى وَعَاقِبَةِ أَمْرِى » أَوْ قالَ : « عَاجِلِ أَمْرِى وَآجِله ، فاقْدُرْهُ لى ، ثمَّ بَارِكْ لى فِيهِ ، وَإن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا الأمْرَ شرٌّ لى فِي دينى وَمَعَاشِى وَعَاقِبَةِ أمرى » أو قال : « عَاجِلِ أَمرى وَآجلِهِ ، فاصرِفهُ عَنِّى ، وَاصْرِفنى عَنْهُ ، وَاقدُرْ لِىَ الخيْرَ حَيْثُ كانَ ، ثمَّ أَرْضِنى بِهِ »(٣).

١٥ـ السلام على الأهل إذا دخلنا منازلنا :

وإفشاء السلام سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ ، وتحيه المسلم للمسلم : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، ولذلك أوصانا الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى .

عليه ـ بالسلام على الأهل إذا دخلنا منازلنا ؛لتدخل البركة على البيت كله ، والوصية تقول :

عن أنس ـ رِضىَ الله عنه ـ قالَ : قالَ لى رسولُ الله ﷺ : « يابُـنَـيَّ : إذا دَخَلْتَ عَلى أَهْلكَ فَسَـلِّمْ يَكُنْ بَـرَكَةً عَلَيْكَ ، وَعَلى أَهْلِ بَيْتِكَ »[1]

١٦ـ الوصية بعيادة المرضى :

والمرضى ابتلاهم الله ـ عز وجل ـ بالمرض ليرى مدى صبرهم ومدى تحملهم لقدر الله ، فإذا صبروا واحتسبوا ذلك عند الله غفر الله لهم ذنوبهم ؛ ولذلك أوصانا الرسول الكريم ﷺ بعدة وصايا لزيارة المرضى عسى أن تخفف هذه الزيارات من آلام المرض ، ومن هذه الوصايا للنبى ﷺ :

عـن أبى هريرة ، قال : قال رسـول الله ﷺ : « مـن أصبح منكم صائماً»؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : « من عاد منكم اليوم مريضاً»؟ قال أبو بكر: أنا ، قال : «من شهد منكم اليوم جنازة » ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : « من أطعم اليوم مسكيناً»؟ قال أبو بكر : أنا ، قال مروان : بلغنى أن النبى ﷺ قال :

«ما اجتمع هذه الخصال فى رجل فى يوم ؛ إلا دخل الجنة » .[2]

عن جابر قال : دخل النبى ﷺ على أم السائب وهى تزفزف ، فقال : «مالك؟» قالت : الْـحُمَّى ـ أخزاها الله ـ فقال النبى ﷺ : « مهِ ، لا تسبيها ؛ فإنها تذهب خطايا المؤمن كما يذهب الكير خبث الحديد »[3] عن أبى هريرة،عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله :ابن آدم استطعمتك، فلم تطعمنى ، قال : فيقول : يارب !! وكيف استطعمتنى ولم أطعمك، وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً استطعمك فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو كنت أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ ابن آدم !! استسقيتك فلم تسقنى،فقال : يارب !!فكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد .

(٣) رواه الإمام البخارى .

فيقول : إن عبدى فلاناً استسقاك فلم تسقه . أما علمت أنك لو كنت سقيته لوجدت ذلك عندى ؟! يا ابن آدم !! مرضت فلم تعدنى ، فقال : يارب !!كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض ، فلو كنت عدته لوجدت ذلك عندى؟أو وجدتنى عنده » ؟ [1] .

١٧ـ الوصايا بالأعمال الفاضلة ، وترتيب أحسن الأعمال :

وفى ذلك يوصينا رسول الله ﷺ بترتيب أحسن الأعمال ، والأمر بضرب الأولاد على عدم الصلاة إذا بلغوا السنوات العشر الأول من عمرهم لتعويدهم على أداء الفرائض ، وفى ذلك يوصى رسول الله ﷺ وصية هامة .

فمن هديه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الصلاة أن نُحبب فيها أبناءنا منذ نعومة أظافرهم ، ولم لا ؟ ، فالصلاة عماد الدين ، والصلاة تعتبر الفرق بين المسلم والكافر ، والصلاة من أقامها فقد أقام الدين، ولذلك فقد طلب وأوصى الرسول الكريم ﷺ بأن نعلم أولادنا الصلاة ونحببهم فيها رغم أنها ليست مفروضة إلا على البالغين ، فكان حض رسول الله ﷺ على الأمر بالصلاة للأطفال بمثابة وصية هامة يجب الالتزام بها حتى يعتاد أطفالنا هذه الصلاة ، ويقيموها فى مواعيدها بعد ذلك، بل وقضاء أوقات فراغهم فى تعلمها والتدريب عليها . ومن سنن الحبيب المصطفى ﷺ فى ذلك :

ـ قال رسول الله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ،وفرقوا بينهم فى المضاجع » [2] .

يوضح هذا الحديث الشريف أنه يجب أن نضرب أولادنا على الصلاة فى عامهم العاشر ، وهذا الحديث فيه من الوصايا الكثير ، ومن ذلك :

أ ـ ضرورة تعليم الأولاد كيفية الصلاة وأفعالها وفرائضها وسننها وآدابها منذ سن السابعة وحتى سن العاشرة .

---

(١) رواه الإمام البخارى .

(٢) رواه الحاكم وأبو داود .

ب ـ ضرب الأولاد على تركهم للصلاة فى سن العاشرة حتى يلتزموا بها ويؤدوها على وجهها الصحيح .

ج ـ التفرقة بين الأبناء فى المضاجع من سن العاشرة حتى يتعودوا على الاستقلال والرجولة بعد ذلك .

وكل هذه وصايا هامة لتنشئة وتربية أولادنا على النهج الصحيح لمعرفة أصول دينهم. ومن الوصايا الهامة فى تربية الأولاد على معرفة أصول دينهم مارواه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال الرسول ﷺ: **«اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار»**[١] .

وكذلك يوضح لنا الرسول الكريم ـ بعد التربية على الصلاة ـ الأعمال الفاضلة بالترتيب الذى يحبه الله ورسوله فيوصينا ﷺ :

حدثنا عبد الله بن مسعود ، قال : سألت النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : «ثم بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « ثم الجهاد فى سبيل الله » قال : حدثنى بهن ، ولو استزدته لزادنى[٢] .

١٨ـ اجتناب الموبقات السبع ، وقد أوصانا الرسول ﷺ بذلك ، ونورد وصيته الخالدة :

حدثنا أحمد بن سعيد الهمدانى ، ثنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن ثور ابن زيد ،عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : **« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ »** قيل : يارسول الله ، وَمَاهُنَّ ؟ قال: **« الشِّرْكُ بِالله ، والسِّحْرُ ، وقَتْلُ النَّفْسِ التى حَرَّمَ الله إلا بالحق ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وأَكْلُ مَالِ الْيتيم ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الغافلات المؤمنات »** [قال أبو داود : أبو الغيث : سالم مولى ابن مطيع][٣] .

---

(١) رواه ابن جرير وابن المنذر

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد

(٣) رواه أبو داود فى سننه .

١٩ـ الوصية بالجار :

والوصية بالجار من الوصايا الخالدة لرسول الله ﷺ ، ولم لا ؟؟ ، فالجار هو أقرب الناس لجاره ،. فهو أقرب من أخيه ، وأسرته ، وهناك العديد من الوصايا لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومنها :

عن ابنِ عمر وعائشة ـ رضى الله عنهما ـ قالا : قال رسولُ الله ﷺ :

« مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالجَار حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ »[١] .

وعن أبى ذرٍّ ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا ذرٍّ : إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَها ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ »[٢] .

وعن أَبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أَن النبى ﷺ قال : « واللّهِ لايُؤْمِنُ، وَاللّهِ لا يُؤْمِنُ ، وَاللّهِ لا يُؤْمِنُ ! » قِيلَ : مَنْ يارسول الله ؟ قال : «الَّذى لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ! »[٣] .

وعنه أَن رسول اللّه ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوم الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِن باللّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ»[٤] .

٢٠ـ الوصية بالوفاء بالعهود والمواثيق :

وهذه وصية لازمة للحياة الاجتماعية والتعاونية للأمة ؛ لأن الخيانة تورث المجتمع صفات الرذيلة وعدم الأمان ، وفى ذلك يوصينا رسول الله ﷺ بصفات الأمانة حتى لا نخرج عن ملة الإسلام ، وندخل فى الرياء والنفاق :

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإذا وَعَدَ أَخلَفَ ، وَإذا اؤْتُمِنَ خَانَ »[٥] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أنّ رسول الله ﷺ قال : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإذا خَاصَمَ فَجَرَ »[1].

٢٠ـ التحاب فى الله وإفشاء السلام :

وفى ذلك التحاب فى الله ، وإفشاء السلام عدة وصايا هامة من رسول رب العزة - عليه الصلاة والسلام - يحدثنا فيها عن إفشاء السلام والتحاب فى الله بين المسلمين .

عن عبد الله بنِ عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أيُّ الإسْلامِ خَيْرٌ ؟ قال : « تُطْعِمُ الطعَامَ ، وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِف »[2] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبىِّ ﷺ قال : « لما خَلَقَ الله تعالى آدَمَ ﷺ قال : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلى أُولئكَ - نَفَرٍ مِنَ الْملائِكَةِ جُلُوسٍ - فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ ، فإنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ . فقال : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، فقالوا : السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فَزَادُوهُ : وَرَحْمَةُ اللهِ »[3] .

وعن أبى عُمارة البَراءِ بن عازِب - رضى الله عنهما - قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بِسَبْعٍ : بِعِيَادَةِ الْمريض ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ ، وَنَصْرِ الضَّعِيف ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ ، وَإفْشَاءِ السَّلامِ ، وَإبرارِ المقْسِمِ »[4] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه ، ورواه البخارى بهذا اللفظ .

تُؤمِنوا ، وَلا تُؤْمِنوا حَتّى تَحابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلى شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ » (١) .

٢١ ـ الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال :

وهذا الجهاد حببنا فيه رسول الله ﷺ وأوصانا به لما فيه من خير وفلاح : عَنْ أبى هُريرَةَ ـ رَضِىَ اللَه عَنْهُ ـ قالَ : سئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ أَىُّ الأعمالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « إيمانٌ باللّهِ ورَسولِه » قِيلَ : ثمّ مَاذَا ؟ قَالَ: «الجهَادُ فى سبِيلِ اللهِ » قِيلَ: ثمَّ ماذا ؟ قالَ: «حَجٌّ مَبرورٌ»(٢).

٢٢ ـ الصلاة عليه ﷺ :

وفى هذه الوصية يدلنا الحبيب المصطفى على منابع الخير الكثير فى الصلاة عليه :

عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمرو بنِ العاصِ ـ رَضى الله عَنْهُمَا ـ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً»(٣) .

وعن أَوس بنِ أَوْسٍ ـ رضىَ اللّهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ :

« إنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صلاتَكُمْ مَعْروضَةٌ عَلَيَّ » فقالوا : يا رسُول الله ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنا عَلَيْكَ وَقَدْ أرَمْتَ ؟! » قالَ: يقولُ : بَلِيتَ ، قالَ : « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلى الأَرْضِ أَجْسادَ الأَنْبِياءِ » (٤) .

٢٣ ـ ذكر الله :

وهذه الوصايا هامة فى حياتنا ؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب ، وذكر الله له أساليب عديدة ، ولكن نذكر هذه الوصية النبوية الشريفة للتذكرة فقط :

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رَسُولُ الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الإمام مسلم .

(٤) رواه أبوداود بإسناد صحيح، وأخرجه أحمد والحاكم

اللِّسانِ ، ثَقِيلَتَانِ فى المِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمٰنِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ العظِيمِ » [1].

٢٤ـ حرمة المسلم على المسلم :

وهذه الوصية الشاملة البليغة ، تحدد لنا حرمة المسلم على المسلم :

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْه ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « كُلُّ المُسلِم عَلى المُسْلِم حَرَامٌ : دَمُهُ وعِرضُه وَمالُهُ » [2].

٢٥ـ إمساك اللسان عن الحديث غير المشروع :

وفى هذه الوصايا يوصينا الحبيب المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بإمساك اللسان عن الحديث غير المشروع ، حتى لا نُكب على وجوهنا يوم القيامة فى النار ، ومن وصايا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى ذلك :

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْه ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً ، أَوْ لِيَصْمُتْ » [3].

٢٦ـ عدم التكبر على المسلمين :

وفى ذلك عدة وصايا لرسول الله ﷺ ، يحثنا فيها على عدم التكبر على المسلمين ، ومن هذه الوصايا الجامعة الشاملة التى تنهانا عن التكبر على خلق الله والتكبر على المسلمين بصفة خاصة :

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْه ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشرِّ أَن يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ » [4].

وعَن ابنْ مسعُودٍ ـ رضى اللهُ عَنْهُ ـ عن النبىِّ ﷺ قالَ : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ فى

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه مسلم .

قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، فقال : « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » (١).

٢٧ ـ الوصية باجتناب الربا :

ولم لا ؟ وإن الربا كان فاحشة وساء سبيلاً ، فالربا سحت ، وأمرنا الرسول الكريم بالبعد عنه تماما حتى لا يلعننا الله ـ عز وجل ـ فى وصية شاملة جامعة :

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ » (٢).

٢٨ ـ الوصية بالتوبة إلى الله فى كل آن وحين :

وذلك لأن التوبة تُكفر الذنوب ، وفى ذلك وصايا عديدة للرسول الكريم ﷺ يقول فيها :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عَنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وادِياً مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ » (٣).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنه ـ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « يَضْحَكُ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُ هٰذَا فى سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِم فَيُسْتَشْهَدُ» (٤).

٢٩ ـ الوصية بالصبر والتحمل :

وما أعظم صفات وعاقبة الصابرين ، ولذلك أوصانا رسولنا الكريم محمد بن عبدالله ﷺ بالصبر ، ووضعه ضمن أفضل الأعمال للناس فى الحياة الدنيا :

---

(١) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى .

(٢) رواه مسلم ، وزاد الترمذى « وشاهديه وكاتبه » .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

عَن أبى مَالكِ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِم الأشْعَرِى ـ رضى الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ ـ أوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّموَاتِ والأرْضِ ، وَالصَّلاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَان ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا ، أوْ مُوبِقُهَا» (١).

وَعَنْ أَبِى سَعِيد سَعْد بْنِ مَالكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرى ـ رضى الله عنهما ـ: أنَّ نَاساً مِنَ الأنْصَارِ سَألُوا رسول الله ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَألُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَه ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أنْفَقَ كُلَّ شَىء بِيَدَهِ : «مَا يَكُنْ عِنْدى مِن خَيْرٍ فَلَن أدَّخِرَهُ عَنكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله . وَمَا أُعْطِىَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » (٢).

٣٠ ـ الوصية بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وفى ذلك جملة من الوصايا لرسول الله ﷺ ، نختار مجموعة منها :

عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ـ رضى الله عنه ـ قالَ : سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنكُم مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذلك أَضْعَفُ الإيمانِ » (٣) .

عن ابن مسْعُودٍ ـ رضى الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ نَبِىٍّ بعثه الله فى أُمَّةٍ قَبْلى إلاَّ كان لَه مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّون وَأَصْحابٌ يَأْخُذُون بِسُنَّتِهِ ويَقْتَدُون بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إنها تخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُون مَا لاَ يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُون مَا لا يُؤمَرون ، فَمَنْ جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ ، ليس وراء ذلك مِن الإيمان حَبَّةُ خَرْدلٍ » (٤).

(١) رواه مسلم ، وأخرجه الترمذى .
(٢) رواه البخارى ومسلم (متفق عليه) .
(٣) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة والترمذى والنسائى
(٤) رواه مسلم .

عن أبي الوليدِ عُبَادَةَ بن الصَّامِتَ ـ رضى الله عنه ـ قال : « بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ على السَّمْع والطَّاعَةِ فى العُسْر وَاليُسْرِ وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ ، وَعَلى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَعَلى أَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرا بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالى فِيهِ بُرْهَانٌ ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بالحَقِّ أيْنَمَا كُنَّا لاَ نَخافُ فى الله لَوْمَةَ لائم »[1].

عَنْ أُمّ المُؤمِنِين أُمّ سَلَمَة هِنْدٍ بنتِ أبى أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « إنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُون ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ برىء ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِى وَتَابَعَ » قالوا : يَا رَسُولَ الله ألا نُقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ : « لا ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ »[2].

عن أبى بَكْر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّكُمْ لَتَقْرأُونَ هٰذِهِ الآيَة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٥] وإنى سَمِعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : « إنَّ النّاس إذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْه أَوْشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ مِنْهُ »[3].

٣١ ـ الوصايا بالتواضع لله عز وجل :

وهى من الوصايا النافعة ، والتواضع عكس التكبر ، وإذا كان الكبر والتكبر يؤدى إلى نار جهنم ـ والعياذ بالله ـ فإن التواضع يؤدى إلى رحاب جنات الله .

وقد حضنا رسولنا الكريم الحبيب المصطفى ﷺ على هذا الخلق القويم : على التواضع ، حتى يرفعنا الله ـ عز وجل ـ إلى عليين إن شاء الله فى جنات النعيم ، وفى ذلك عدد من الوصايا لرسول الله ﷺ ، نذكر منها :

عن عيَاضِ بن حِمَار ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله أوحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حتى لا يَفْخَر أحَدٌ عَلى أحَدٍ ، وَلا يَبْغِىَ أحَدٌ عَلى أحَدٍ »[4].

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه

(٢) رواه الإمام مسلم

(٣) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .

(٤) رواه مسلم .

وعَنْ أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ ، وما زادَ الله عَبداً بِعَفْوٍ إلاَّ عِزاً ، ومَا تَوَاضَع أَحَدٌ لله إلا رَفَعَهُ الله » [1].

٣٢ـ الوصية بالحلم والأناة :

وما أروعه من خلق ، عندما يتخلق الإنسان بالحلم والأناة ، وهى من الوصايا الجامعة الشاملة لرسول الله ﷺ ، نختار منها هذه الوصايا :

عَن ابنِ عَبَّاس ـ رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأشَجِّ عَبْدِ القَيْس : «إنَّ فيك خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الحِلْمُ وَالأنَاةُ » [2].

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فى الأمْرِ كُلِّهِ » [3].

كانت تلك مجموعة مختارة من هدى سيد المرسلين الرسول المصطفى ﷺ وهو بحق قبس يسير من نور هديه العظيم الهادى للحق ، والمنقذ من الضلال ، والمؤدى إلى الجنة ونعيمها .

وكما قلنا ، فإن كل سنة الحبيب المصطفى ﷺ هى وصايا واجبة الاتباع فورا ، ولا يجوز إهمالها ولو للحظة واحدة ، ولا يجوز التغاضى عنها حتى يحشرنا الله ـ عز وجل ـ يوم الحساب فى زمرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحتى نشرب من يديه الكريمتين الشريفتين شربة هنيئة مريئة من حوضه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا نظمأ بعدها أبدا .

* * *

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وأبو داود

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

الفصل الثانى

من وصايا الصحابة
والصالحين والتابعين

وصايا خالدة

للخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم

إذا كان رسول الله ﷺ قد قال فى حديثه الشريف :

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها »(١).

فإن وصايا الخلفاء الراشدين الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ـ رضوا الله عليهم أجمعين ـ تعتبر سنة واجبة الاتباع ، وعهدا يجب الحفاظ عليه ، كوصايا الرسول الكريم لأنها منبثقة عنها ، ولأنهم لم يوصوا بها إلا نتيجة خبرة كبيرة بالجوار والجلوس والاستماع ومشاهدة رسول الله ﷺ ، وكذلك لأن نور الإسلام ونور القرآن ونور هدى النبى ﷺ دخل فى قلوبهم ، فتمسكوا بهذا النور وذلك الضياء ، وأرشدونا إلى جوانب من هذا النور ، ولم لا ؟؟ فالصحابة الكرام البررة ـ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ـ من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ فى حياته ، وهم حملة لواء الإسلام بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولذلك وجب علينا اتباع وصاياهم لأنها سُنة وعهد وميثاق بعد القرآن الكريم وسنة الرسول المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام .

وسنقرأ معاً فى هذه الوصايا الخالدة للخلفاء الراشدين أنهم كانوا يوصون بعضهم البعض ، دون حساسية ، ولم لا ؟ أليس الدين النصيحة ، وأليس هناك درجات السابقين السابقين من المهاجرين والأنصار ؟ فهذا أبو بكر يوصى سيدنا عمر ـ رضى الله عنهما ـ ولذلك فالوصية واجبة النفاذ لأنها من خليفة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى خليفة خليفة رسول الله ، وبالفعل ، كانت وصاياهم نوراً يهدى إلى

(١) أخرجه الإمام أحمد .

الحق، وكانت وصاياهم نورا يُهتدى به ، ولعلنا عندما نعرفهم ، ونحبهم ، ونعمل بوصاياهم ، ونعمل عملا قريبا من عملهم ، يحشرنا الله ـ عز وجل ـ وإياهم يوم القيامة ، إنه نعم السميع ونعم المجيب .

كما أن وصاياهم تعتبر ـ وبحق ـ نوراً يضىء لنا طريق الحق والإيمان، ونورا يهدى التابعين وتابعى التابعين إلى يوم الدين ، لماذا ؟ لأنه صادر عن أشرف فئة من المسلمين المؤمنين المحسنين ، وهم الذين (رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

إن وصايا الخلفاء الراشدين أتت من حنكة وخبرة وممارسة ومجاورة ، واحتكاك مباشر فى أيام الإسلام الأولى ، فالوصايا هى خلاصة الجهد والعرق ، وبهذه الوصايا فاز الصحابة الكرام بالسعادة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة وجنتها ، جعلنا الله جميعا من أهلها آمين يا رب العالمين .

وإذا كان فى وصاياهم النور الذى يهدى به الله إلى الطريق القويم ، بعد القرآن وسنة الحبيب المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلابد أن نلتمس طريقهم ، باتباع وصاياهم العامة والخاصة ، وبهذا الأسلوب نفوز ، كما فازوا ، ونعز ، كما عزوا ، وباتباع وصاياهم ينشرح صدرنا للإيمان ، ونعرف بمشيئة الله نور الإيمان والقرآن والإسلام ، وما أروع أن ينشرح صدر مسلم بهذه الأنوار الربانية ، ويدخل نور القرآن والإسلام صدورنا ، ما أروع ذلك ، وعسى أن نكون مثل الصحابة إذا تشبهنا بهم باتباع وصاياهم ، فيحشرنا الله معهم فى جنات النعيم ؛ لأن من أحب قوما حشر معهم يوم القيامة .

وفى هذا المجال ، سنتعرض إلى العديد من الوصايا العامة والخاصة للخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ عسى أن ينفعنا بها الله .

أ ـ وصايا الخليفة الأول

أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وأبو بكر الصديق وزير رسول الله وصاحبه فى الهجرة ، وأول من آمن به ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ومنفق ماله كله فى سبيل الله ، وخليفة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن هنا فوصاياه هامة للغاية ، ووصاياه عديدة ، نختار منها عدة وصايا لنعرف المنهج الذى كان يسير عليه خلفاء رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو منهج النور والإيمان .

١ ـ وصيته ـ رضى الله عنه ـ عند موته :

ونستفتح بهذه الوصية لأنها هامة جدا ، وتُبين اليقين الكامل ، فماذا يقول فيها ؟ يقول ـ رضى الله عنه ـ [1] :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا عهد من أبى بكر الصديق، عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويتقى الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إنى استخلفت من بعدى عمر بن الخطاب . فإن عدل فذلك ظنى فيه ، وإن جار وبدل فالخير أردت ، ولا أعلم الغيب »

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

[الشعراء : ٢٢٧] .

٢ ـ ثم بعث إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ فدعاه ، بعد أن أوصى المسلمين ، يوصى الخليفة القادم على المسلمين ، وسبحان الله ، لا ينسَى المسلمين ، ثم لا ينسى خليفتهم من بعده ، فيوصيه بالأمة فيقول له[2]:

---

(١) راجع حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٨٦ ، ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص٨٧ .

« يا عمر ! أبغضك مبغض ، وأحبك محب ، وقدما يبغض الخير ويحب الشر . قال: فلا حاجة لى فيها . قال : لكن لها بك حاجة، وقد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته، ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه ، حتى أن كنا لنهدى لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتنى وصحبتنى ، وإنما اتبعت أثر من كان قبلى ، والله ! ما نمت فحلمت ، ولا شهدت فتوهمت ، وإنى لعلى طريق ما زغت ، تعلم يا عمر ! إن لله حقًّا فى الليل لا يقبله بالنهار، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، وحق لميزان أن يثقل لا يكون فيه إلا الحق ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان أن يخف لا يكون فيه إلا الباطل . إن أول ما أحذرك نفسك ، وأحذرك الناس فإنهم قد طمحت أبصارهم ، وانتفخت أهواؤهم ، وإن لهم الحيرة عن زلة تكون ، فإياه تكونه ، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقِينَ منك ما خفت الله وفَرِقْتَهُ . وهذه وصيتى . وأقرأ عليك السلام ! » .

٣ ـ وكان سيدنا أبو بكر عندما عزم على استخلاف عمر بن الخطاب من بعده ، كان قد أوصاه بوصية خالدة ، وهذه الوصية تُكملها الوصية السابقة ، ومنها يظهر حرصه ـ رضى الله عنه ـ أن يُذكر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى الأول والآخر حتى يكون قد عمل ما يرضى ضميره ، ويقول فى وصيته (١):

« إنى أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه ، فاتق الله يا عمر ! بطاعته ، وأطعه بتقواه ، فإن التقى أمر محفوظ . ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به ؛ فمن أمر بالحق وعمل بالباطل ، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط به عمله . فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تجف يديك من دمائهم ، وأن تضمر بطنك من أموالهم ، وأن تجف لسانك عن أعراضهم فافعل . ولا قوة إلا بالله » .

٤ ـ وصية أخرى لسيدنا أبى بكر الصديق :

وعندما حضرت الوفاة سيدنا أبا بكر الصديق ، دعا عمر بن الخطاب ـ رضى الله

(١) أخرجه الطبرانى عن الأغر (أغر بنى مالك) راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق، ج٢ ، ص ٤٥ ، وكذلك حياة الصحابة ، مرجع سابق ص ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ .

عنه وعن أبى بكر ـ ، وقال له فى وصية جامعة شاملة [1]:

« اتق الله يا عمر !واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً . وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إنى لأخاف ألا ألحق بهم ، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت : إني أخاف أن أكون مع هؤلاء . وذكر آية الرحمة وآية العذاب ، فيكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يقنط من رحمته ، ولا يلقى بيديه إلى الهلكة ، فإن أنت حفظت وصيتى فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن أنت ضيعت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه » .

٥ ـ وصيته إلى عمرو بن العاص عندما خرج إلى الشام :

وأوصى أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ عمرو بن العاص وصية خالدة ، تبرز مدى سماحة الإسلام ؛ لأن عمرو بن العاص خرج غازيا لبلاد الشام ، فلم يشأ أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أن يتركه يخرج دون وصية . يقول فيها[2] :

« يا عمرو ! اتق الله فى سرائرك وعلانيتك واستحيه ؛ فإنه يراك ويرى عملك ؛ وقد رأيت تقديمى إياك على من هم أقدم سابقة منك ، ومن كان أعظم غنى عن الإسلام وأهله منك . فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ، ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكتف بعلانيتهم ، وكن مجداً فى أمرك ، واصدق اللقاء إذا لقيت ولا تجبن ، وتقدم فى الغلول وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز ، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك » .

---

(١) رواه ابن المبارك وغيره . راجع البيان والتبيين للجاحظ ، مرجع سابق ، ج٢ ص٤٥ ، وكذلك حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج٢ ص ٨٨ .

(٢) أخرجه ابن سعد عن عبد الله بن أبى بكر ، راجع المرجع السابق ، ص٨٩ ، ج٢ .

٦ ـ وصيته إلى ولاة الصدقة :

وعندما ولى أبو بكر الصديق عَمْـرًا والوليد بن عقبة ـ رضى الله عنهم وأرضاهم ـ على أموال الصدقات والزكاة ، أوصاهم وصايا خالدة قال فيها [١] :

« اتق الله فى السر والعلانية ؛ فإنه ﴿ مَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : [٢ ـ ٣] ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥]

فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله ، إنك فى سبيل من سبل الله ، لا يسعك فيه الادْهَانُ والتفريط ، ولا الغفلة عمَّا فيه قوام دينكم وعصمة أمركم ، فلا تَنِ ولا تفتر » .

٧ ـ وصيته ـ رضوان الله عليه ـ إلى عمرو بن العاص عندما أرسل إليه المدد :

وإمدادات الجيش مهمة جدا ؛ ولذلك لا بد أن يوصى الخليفة حتى يتعاون الجميع لخدمة الإسلام ، فإن الإمدادات هامة للجيوش ، ولابد أن تتعاون هذه الجيوش لخدمة المقصد من خروجها [٢] :

« إنى كتبت إلى خالد بن الوليد ليسير إليك مدداً لك ، فإذا قدم عليك فأحسن مصاحبته ، ولا تَطَاوَلْ عليه ، ولا تقطع الأمور دونه لتقديمى إياك عليه وعلى غيره ، شاورهم ولا تخالفهم » .

٨ ـ وصية أخرى لعمرو بن العاص :

وذلك لأن الجيوش كثرت تحت إمرته فى الشام ، وأرسل له الخليفة الإمدادات اللازمة، وأرسل إليه بوصية لعله يتذكر فتنفعه الذكرى ، فقال له [٣] :

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى عن القاسم بن محمد ، وأخرجه ابن عساكر ، المرجع السابق ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) أخرجه ابن سعد ، راجع المرجع السابق ص ٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

« إنى قد استعملتك على من مررت به من بلى ، وعذرة ، وسائر قضاعة ، ومن سقط هناك من العرب . فاندبهم إلى الجهاد فى سبيل الله ورغبهم فيه ، فمن تبعك منهم فاحمله ، وزوده ووافق بينهم ، واجعل كل قبيلة على حدتها ومنزلتها » .

٩ ـ وصيته لشرحبيل بن حسنة ـ رضى الله عنهما ـ :

وهى وصية للجهاد فى سبيل الله ، تحدد الحقوق والواجبات بدقة متناهية ، متأسيا برسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول له [١] :

« انظر خالد بن سعيد ، فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وإن رسول الله ﷺ توفى وهو له وال ، وقد كنت وليته ، ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً له فى دينه ، ما أغبط أحداً بالإمارة ، وقد خيرته فى أمراء الأجناد ، فاختارك على غيرك وعلى ابن عمه . فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأى التقى الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وليك ثالثاً خالد بن سعيد ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً ، وإياك واستبداد الرأى عنهم أو تطوى عنهم بعض الخبر » .

١٠ ـ وصيته إلى يزيد بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ :

وفى هذه الوصية يبرز خليفة رسول الله وصايا هامة للشباب لتحمل مسئوليتهم فى خدمة الإسلام والمسلمين ، فقال له [٢] :

« يا يزيد ! إنك شاب ، تذكر بخير قد رئى منك ، وذلك لشىء خلوت به فى نفسك ، وقد أردت أن أبلوك وأستخرجك من أهلك ، فانظر كيف أنت ؟ وكيف ولايتك؟ وأَخْبُرَكَ فإن أحسنت زدتك ، وإن أسأت عزلتك ، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد » .

وأوصاه فقال له [٣] :

« يا يزيد ! إن لك قرابة عسيت تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أكبر ما أخاف عليك ؛ فإن رسول الله ﷺ قال : « من ولى من أمور المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباة له بغير

---

(١) المرجع السابق ص ٩١ .
(٢) المرجع السابق ص ٩١ ، ٩٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٩٢ .

حق فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم ، ومن أعطى أحداً من مال أخيه محاباة له فعليه لعنة الله ـ أو قال ـ برئت منه ذمة الله . إن الله دعا الناس إلى أن يؤمنوا بالله فيكونوا حمى الله ، فمن انتهك فى حمى الله شيئاً بغير حق فعليه لعنة الله ـ أو قال ـ برئت منه ذمة الله عز وجل » .

١١ـ وصيته فى خطبة توليه الحكم :

ونختتم بما بدأ به أبو بكر الصديق عندما تولى أمور المسلمين ، فى أول خطبة له ، عندما اختير خليفة لرسول الله ﷺ فقد أوضح فى هذه الخطبة وصاياه وسلوكه فى سياسة الأمة وقيادتها وبيان حالها ، وما يجب أن تكون عليه ، وكيفية حكم المسلمين بعد انتقال رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الرفيق الأعلى . قال ـ رضوان الله عليه ـ[1]:

« أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن صدفت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد ؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » .

١٢ـ وصية أبى بكر الصديق إلى رافع الطائى :

أوصى أبو بكر الصديق الصحابى الجليل رافع الطائى ـ رضى الله عنهما ـ وذلك أثناء صحبتهما معاً فى إحدى الغزوات ، فلم يرد أن يترك المناسبة تمر دون وصية ، يُذكر فيها بالآخرة والحقوق التى على المسلم فأوصاه فقال له[2] :

(أقم الصلاة المكتوبة لوقتها ، وأدِّ زكاة مالك طيبة بها نفسك ، وصم رمضان ، وحج البيت ، واعلم أن الهجرة فى الإسلام حسن ، وأن الجهاد فى الهجرة حسن ، ولا تكون أميرا) ثم قال :

---

(١) راجع : عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م ، ط١ ، ص ٣٥.
(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد ، راجع حياة الصحابة ، ج٢ ، ص ٤٢ .

(هذه الإمارة التى ترى اليوم سبرة أوشكت أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس بأهل لها ، وإنه من يكن أميرا فإنه من أطول الناس حسابا وأغلظهم عذابا ، ومن لا يكون أميرا فإنه من أيسر الناس حسابا وأهونه عذابا ؛ لأن الأمراء أقرب الناس من ظلم المؤمنين ، ومن يظلم المؤمنين فإنما يخفر الله ، هم جيران الله ، وهم عباد الله ، والله إن أحدكم لتصاب شاة جاره أو بعير جاره فيبيت وارم الفضل ، يقول شاة جارى أو بعير جارى ، فإن الله أحق أن يغضب لجاره) .

هذه الوصايا الثمينة التى أوصى بها خليفة رسول الله ، نجدها تدور حول تنظيم أمور الدولة وتولى الأصلح من بعده ، وتدور حول تقوى الله ـ عز وجل ـ فى السر والعلن ، ومعرفة حلاله والبعد عن حرامه، والعدل والشورى بين الناس ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والحكم فى الأمة بما يرضى الله ـ عز وجل ـ وكلها أمور لابد أن تلتصق بالمسلم المؤمن ، حتى يرتقى إلى الدرجات التى وصل إليها صحابة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الإيمان الكامل واليقين بالخالق ـ عز وجل ـ والإحسان .



ب ـ وصايا الخليفة الثانى
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه

وعمر بن الخطاب له مآثر عديدة فى حياة المسلمين ، فلقد فتح الله فى عهده مشارق الأرض ومغاربها ، وقد قال عنه رسول الله ﷺ : « إن الشيطان إذا رأى عمر ابن الخطاب يسلك فجا سلك فجا آخر » دليلا على بأسه وقوة إيمانه .

وعن عمر بن الخطاب آلاف الوصايا الإسلامية الهامة فى حياتنا ، وهى وصايا كثيرة متنوعة ، ولم لا ؟؟ فعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أمير المؤمنين ، ومن أوائل الصحابة المسلمين ، ومعروف بالشدة فى الحق ، فلا عجب أن يكون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب موصيا بحكم بليغة وعهود موثقة ، ونختار بعضا من هذه الوصايا :

١ ـ وصيته إلى أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنهما ـ :

كتب سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى وصية هامة تقول[١] :

« اقنع بروحك فى الدنيا ، فإن الرحمن فضل عباده على بعض فى الرزق ، بل يبتلى به كلا ، فيبتلى من بسط له كيف شكره فيه ، وشكره لله أداؤه الحق الذى افترض عليه فيما رزقه وخوله » .

٢ ـ وصيته إلى رجل من الأنصار :

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ موصيا رجلا من الأنصار وصية شاملة جامعة بليغة نلحظ فى ثناياها القوة والعزيمة :

---

(١) راجع : حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٢٩ .

« لاتتكلم فيما لا يعنيك ، واعرف عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله تعالى ، ولاتمش مع الفاجر فيُعلمك من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، ولا تُشاور فى أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل » [1] .

٣- وصية عامة لكافة الناس :

وأوصى عمر بن الخطاب الناس ذات يوم عندما خطب فيهم فقال لهم [2] :

« ما أُبالى على أى حال أصبحت على ما أحب أو على ما أكره ؛ لأنى لا أدرى الخير فى ما أحب أو فى ما أكره »

٤- وصيته للأحنف بن قيس - رضى الله عنهما - :

وأوصى عمر الأحنف بن قيس وصية لابد أن نقرأها جيدا فى هذا العصر الذى بعدنا فيه عن تعاليم الإسلام الصحيحة بسيل الأفلام والمسرحيات والتمثيليات الكوميدية والتى تُميت القلوب المؤمنة ، قال له عمر فى هذه الوصية :

« يا أحنف : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح اسْتُخِفَّ به ، ومن أكثر من شىء عُرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه»[3].

٥- وصيته - رضى الله عنه - إلى الخليفة الذى سيأتى بعده :

ونحن نعرف جميعا قصة الخليفة الذى أتى بعد عمر بن الخطاب ، وكيف جمع عمر خيرة الأمة ليختاروا واحدا فيما بينهم لتولى الخلافة ، وعين ابنه سكرتيرا (بالمفهوم المعاصر) لهذه اللجنة حتى يتم الاختيار .

وفى هذه الوصية التى وجهها إلى واحد لا يعرفه بالاسم ، يتضح سعة الأفق

---

(١) أبو بكر الجزائرى : العلم والعلماء ، جدة ، دار الشروق ، ١٩٨٦م ، ط٢ ، ص١٧٠ .

(٢) حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ج٢ ، وأخرجه ابن المبارك والعسكرى .

(٣) أبو بكر الجزائرى : مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

وتوسع الأمر والفكر لديه ـ رضى الله عنه ـ وتُبين أن هذه الوصية خالصة لوجه الله تعالى ، قال فيها عمر ـ رضى الله عنه ـ [1] :

أُوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأوّلينَ خيراً : أن تعرف لهم سابقتهم . وأُوصيك بالأنصار خيراً ؛ فاقبَلْ من مُحسِنهم، وتجاوَزْ عن مُسيئهم . وأُوصيك بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنّهم رِدءُ العدُوّ ، وجُبَاة الأموال والفَىء ، لاتحمِلْ فيئَهم إلاّ عن فضل منهم . وأوصيك بأهل البادية خيراً ؛ فإنّهم أصلُ العرب ، ومادّة الإسلام : أنْ تأخُذَ من حواشى أموال أغنيائهم ، فتردَّ على فقرائهم . وأوصيك بأهل الذّمّة خيراً : أن تُقاتِلَ مِن ورائهم ، ولا تكلّفْهُـمْ فوق طاقتهم ، إذا أدَّوْا ما عليهم للمؤمنين طَـوْعا أو عن يد وهم صاغِرون . وأوصِيك بتقوى الله وشدة الحذَرِ منه ، ومخافة مَقْتِه ؛ أنْ يطّلِع منك على رِيبة . وأوصيك أن تَخشى الله فى الناس ولا تخشى الناس فى الله . وأوصِيك بالعدل فى الرّعية ، والتفرُّغ لحوائجهم وثغورهم . ولا تُؤْثِر غنيَّهُم على فقيرهم ، فإنّ ذلك ـ بإذن الله ـ سلامةٌ لقلبك ، وحَطٌّ لوِزْرِك ، وخيرٌ فى عاقبة أمرك ، حتى تُفضىَ من ذلك إلى مَن يعرف سريرتَك ، ويحول بينك وبين قلبك . وآمُرُك أن تشتدَّ فى أمْر الله ، وفى حُدودِه ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدِهم ، ثم لا تأخُذْك فى أحدٍ الرأفَة حتى تنتهكَ منه مثل ما انتهَكَ من حُرَمه . واجعل الناس سواء عندَك ، لا تبالى عَلَى مَن وجب الحق ، ولا تأخُذْكَ فى الله لومة لائم . وإياك والأثَرَة والمحاباة فيما وَلاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجُورَ وتظلِمَ ، وتَحرِمَ نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك .

وقد أصبحتَ بمنزلة من منازل الدُّنيا والآخرة ، فإن اقترفت لدُنياك عدلا وعِفّة عما بسط الله لك ؛ اقترفت به إيمانًا ورضوانًا ، وإن غَلبك عليه الهوى ومالت بك شهوةٌ ، اقترفتَ به سُخطَ الله ومعاصِيَه . وأوصيك ألا ترخِّص لنفسك ولا لغيرك فى ظُلم أهل

---

(١) أخرجها ابن أبى شيبة وأبو عبيد ، والنسائى ، راجع : الجاحظ فى البيان والتبين ، مرجع سابق ، ج٢ ص ٤٦ ـ ٤٨ ، وكذلك حياة الصحابة للكاندهلوى ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

الذمة . وقد أوصيتُك وحَضضْتُك ، ونصحت لك ، أبتغى بذلك وجهَ الله والدارَ الآخرة . واخترتُ من دِلالتك ما كنتُ دالاًّ عليه نفسى وولَدى ، فإن عملتَ بالذى وعظتُك ، وانتهيتَ إلى الذى أمرتُك ، أخذتَ به نصيباً وافيًا ، وحظًّا وافرا . وإنْ لم تقبَل ذلك ولم يَهُمَّك ، ولم تُنزِلْ معاظم الأمور عند الذى يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصًا ، ورأيُك فيه مدخولاً ؛ لأن الأهواء مشتركة ، ورأسُ كلِّ خطيئة ، والداعى إلى كل هَلَكةٍ إبليسُ ؛ وقد أضلَّ القرونَ السالفة قبلكَ فأوردَهم النَّار ، ولبئس الثَّمَنُ أن يكون حظ امرىء موالاة لعدو الله ، والدّاعى إلى مَعاصِيه ! ثم اركَب الحق وخُضْ إليه الغَمَرات ، وكنْ واعظًا لنفسك ، وأنشُدُك الله لَـمَا ترحمت علىٰ جماعة المسلمين فأجْلَلت كبيرَهم ، ورحِمْتَ صغيرَهم ، ووقرْت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثرْ عليهم بالفَىء فتُغْضِبَهم ، ولا تَحْرِمْهم عطاياهم عند مَحِلها فتُفْقِرهم ، ولا تجمِّرْهم فى البُعوث فتقطَعَ نسلَهم ، ولا تجعل المالَ دُولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلقْ بابَك دونهم فيأكُلَ قويهم ضعيفَهم .

هذه وصيتى إيَّاك ، وأشهدُ الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

وأخرج ابن سعد [ج ٣ ص ١٩٧] ، وابن عساكر عن القاسم بن محمد قال : قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :

« ليعلم من ولى هذا الأمر من بعدى أن سيريده عنه القريب والبعيد ، إنى لأقاتل الناس عن نفسى قتالاً ، ولو علمت أن أحداً من الناس أقوى عليه منى لكنت أقدم فيضرب عنقى أحب إلى من أن أسعى إليه » .

٦ ـ وصيته ـ رضى الله عنه ـ إلى أبى عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ :

وأوصى عمر بن الخطاب ـ وهو أمير المؤمنين ـ أبا عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ حينما ولاه قيادة جيوش المسلمين فى الشام ، وكان أول كتاب كتبه عمر بن الخطاب بعد أن تولى الخلافة ، وفيه أيضا ولى أبا عبيدة بن الجراح على جند خالد بن الوليد ـ رضى

الله عنهما ـ وفيه أوصاه بأخلاق فاضلة ، وحسن معاملة القادة السابقين ، واستشارتهم فى كل الأمور التى تهم الجيوش ، وهكذا نرى كيف كان أمير المؤمنين حريصاً على مصالح المسلمين[1] :

« أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه ، الذى هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذى يحق عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم ، وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا فى كثف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة ، وقد أبلاك الله بى وأبلانى بك ، فغمض بصرك عن الدنيا وألهِ قلبك عنها ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم » .

٧ ـ خطبته ـ رضى الله عنه ـ فى أصول الحكم :

وله جملة من الوصايا الهامة فى خطبته ـ رضى الله عنه ـ نقتبس هذه الوصايا من بينها، يقول[2] :

قال طلحة بن معدان : خطبنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال : أيها الناس! إنه لم يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله ، وإنى لا أجد هذا المال يصلحه إلا خلال ثلاث : أن يؤخذ بالحق ، ويعطى فى الحق ، ويمنع من الباطل ؛ وإنما أنا ومالكم كولى اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، ولست أدع أحداً يظلم أحداً ويعتدى عليه . حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر ، حتى يذعن للحق .

ولكم علىَّ أيها الناس خصال أذكرها لكم ، فخذونى بها : لكم علىَّ أن لا أجتبى شيئاً من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم علىَّ إذا وقع فى يدى أن لا

---

(١) راجع : حياة الصحابة ، المرجع السابق ، ص٩٤ ، وأخرجه ابن جرير .

(٢) أبو الحسن الندوى ، مختارات من أدب العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٣، ٣٤ .

يخرج منى إلا فى حقه ، ولكم علىّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم - إن شاء الله - وأسد ثغوركم . ولكم علىّ أن لا ألقيكم فى المهالك ولا أجمّركم فى ثغوركم .

وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء ، قليل الفقهاء كثير الأمل ، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ، ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتق الله ربه وليصبر .

يا أيها الناس ! إن الله عظم حقه فوق حق خلقه ، فقال فيما عظم من حقه : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠] ألا وإنى لم أبعثكم أمراء ولا جبّارين ، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم ، فأدِرُّوا على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم فتذلّوهم ، ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ، ولا تجهلوا عليهم ؛ وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم ، فإذا رأيتم بهم كلالة فكفوا عن ذلك ؛ فإن ذلك أبلغ فى جهاد عدوكم . أيها الناس : إنى أشهدكم على أمراء الأمصار، إنى لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس فى دينهم ، ويقسموا عليهم فيئهم ، ويحكموا بينهم ، فإن أشكل عليهم شىء رفعوه إلىّ » .

٨ - وصيته - رضى الله عنه - إلى سعد بن أبى وقاص :

وفى هذه الوصية حكمة بالغة بأن لا ينخدع الناس بقرابتهم من رسول الله ، وفى ذلك يوصى سيدنا عمر سعد بن أبى وقاص وصيتين : قبل التعيين ، وبعده ، فيقول[1] :

« يا سعد سعد بن وهيب ! لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ؛ فإن الله - عز وجل - لا يمحو السىء بالسىء ولكنه يمحو السىء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر

(١) أخرجه ابن جرير ، راجع : يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٩٤، ٩٥ .

الأمر الذى رأيت النبى ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا ، فالزمه فإنه الأمر . هذه عظتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين » .

ولما أراد أن يسرحه دعاه فقال :

« إنى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى ، فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتاداً ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين : فى طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ، ومنها العلانية . فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس ، فلا تزهد فى التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حببه ، وإذا أبغض عبداً بغضه ؛ فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك » .

٩ ـ وصيته ـ رضى الله عنه ـ عقب مبايعته أميراً للمؤمنين :

وبعد أن بويع عمر بن الخطاب أميرا للمؤمنين ، بعد وفاة أبى بكر الصديق ، صعد المنبر ، وقال كلمة قصيرة جامعة اشتملت على سياسته ، فقال فيها[١] :

« إنما مثل العرب كمثل جمل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده أين يقوده ، أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق » .

١٠ ـ وصيته إلى أبى موسى الأشعرى :

ومن وصاياه الخالدة هذه الوصايا العديدة إلى أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ[٢] :

---

(١) راجع : عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، مرجع سابق ، ص١٠٩ .
(٢) أخرجه الدينورى ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص٩٧ ، وأيضا ٩٨ .

« أما بعد ! فإن للناس نفرة من سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك ، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار ، وإذا حضر أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخف الفساق ، واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً ، عد مريض المسلمين، واحضر جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً . وقد بلغنى أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ، ومطعمك ، ومركبك ليس للمسلمين مثلها . فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم إلا التسمن ، وإنما حتفها فى السمن . واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقيت به رعيته » .

« أما بعد ! فإن القوة فى العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم للغد ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم ؛ فإن خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة ، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى . كونوا من الله ـ عز وجل ـ وتعلموا كتاب الله فإنه ينابيع العلوم ، وربيع القلوب» .

١١ـ وصيته لتعليم أبنائنا :

ولسيدنا عمر بن الخطاب وصية فى تعليم وتنشئة أبنائنا ، وهى من الوصايا الواجبة النفاذ ، وهى تدعونا لتعليم الأبناء ما يفيدهم فى حياتهم، من القوة والصحة واللياقة البدنية العالية التى تجعلهم أصحاء أقوياء ، وهذه الوصية تقول [١] :

« علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً» .

---

(٣) راجع : عبد الله علوان ، تربية الأولاد فى الإسلام ، القاهرة ، دار السلام ، ج١ ، ص ١٣٧ .

ج ـ وصايا الخليفة الثالث

عثمان بن عفان رضى الله عنه

عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ الخليفة الثالث بعد أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ والذى جهز جيشا كاملا للمسلمين هو جيش العسرة، وأنفق أغلب ماله فى سبيل الله، وهو ذو النورين ، والذى تزوج ابنتين من بنات هادى البشرية ، سيدنا محمد ﷺ وفى عهده انتشر الإسلام حتى وصل للهند وباقى المشرق والمغرب ، ولم لا ؟ وهو ثالث الخلفاء الراشدين المهديين ، وله من الوصايا العديد الذى يفيد الأمة قاطبة ، ونستعرض بعضاً من وصاياه فى هذا المقام :

١ ـ وصيته عندما حاصره الناس :

وقبل أن نبدأ فى استعراض وصاياه ، نأخذ وصيته فى وقت الشدة ، التى تظهر خلالها معادن الرجال .

فعندما حاصر الناس عثمان ـ رضى الله عنه ـ يوم الدار ، أشرف على الناس فقال :

ـ يا عباد الله :

فدخل عليه على بن أبى طالب ومعه الحسن وعبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهم ـ وفرقوا الناس ، وقال له على :

ـ السلام عليك يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل والمدبر ، وإنى والله لا أرى القوم إلا قاتليك ، فمرنا، فلنقاتل .

فقال عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ :

« أنشد الله رجلاً رأى لله حقًا وأقر أن لى عليه حقاً أن يهريق فى سبيلى ملء حجمة من دم أو يهريق دمه فىَّ » [1] .

وفى ذلك نرى وصية هامة وهى أن حياة الحاكم لا يهراق فى سبيلها نقطة دم من الناس ، حتى لا يحاسبه الله عليها يوم القيامة .

٢ـ أول وصية له :

عقب تولِّى سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ الخلافة ـ بعد البيعة ـ كانت له خطبة عصماء كلها وصايا ، فكانت وصية للناس ، ووصية لأمراء الأمصار وعمال الخراج ، فقال ذو النورين فى هذه الوصية الثمينة [2] :

قال الطبرى : لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ وقال : «إنكم فى دار قُلعَة ، وفى بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ؛ فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لايغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها . واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذى هو خير ، فقال ـ عز وجل ـ :

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ۞ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾

[الكهف : ٤٥ ، ٤٦] ـ وذكر غير الطبرى أنه أرتج عليه .

---

(١) أخرجه أبو أحمد عن شداد بن أوس رضى الله عنه ، وفيه قصة كبيرة ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٩٨ ، ٩٩

(٢) راجع : عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، مرجع سابق ، ص : ٢٤٧، ٢٤٩ .

وكتب عثمان إلى الأمراء والأمصار موصياً :

لما ولى عثمان الخلافة كتب إلى أمراء الأمصار كتاباً عامّاً صورته :

« أما بعد : فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء » .

وكتب إلى أمراء الأجناد بالثغور : « أما بعد : فإنكم حماة الإسلام وذادتهم ، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان عن ملأ منا ، ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم . فانظروا كيف تكونون فإنى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه » .

وكتب إلى عمال الخراج : « أما بعد : فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق به ، والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء ، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم » .

وكتب إلى العامة من المسلمين بالأمصار : « أما بعد : فإنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع ، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ﷺ قال : « الكفر فى العجمة ، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا » .

٣ ـ وصيته عند موته ـ رضى الله عنه ـ :

ولما قتل سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ شهيدا ، فتش الصحابة فى

خزائنه ، فوجدوا فيها صندوقا مقفلاً ، ففتحوه ، فوجدوا فيه ورقة مكتوبا فيها وصيته لما بعد موته .

وهذه الوصية القصيرة ، وما خلفها من أبيات شعر مُعبرة ، تتضمن الكثير ، والكثير جدا من الحكم البليغة والمواعظ والوصايا التى يجب اتباعها ؛ لأنها تصدر عن رجل أنفق وقاتل وهاجر فى سبيل الله وعمل أعمالاً تعجز عصبة من المسلمين أن تقوم بها ، فلقد قام بأعمال خالدة حتى قبضه الله عز وجل .

كما تدل هذه الوصية على بصيرة نافذة وإيمان عميق ، نسأل المولى - عز وجل - أن يمنحنا بعضا من هذا اليقين والإيمان الذى كان لدى ذى النورين - رضى الله عنه - . يقول فى هذه الوصية [1] .

« هذه وصية عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم : عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيا وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله ! » .

وأخرجه أيضاً نظام الملك وزاد : ووجدوا فى ظهرها مكتوباً :

غنى النفس يغنى النفس حتى يجلها ... وإن عَفَّهـا حتى يضر بهـا الفقرُ
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها ... بكائنـة إلا سيتبعهـا يُسـرُ
ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الأسى ... وفى غِيَرِ الأيام ما وعد الدهرُ

(١) أخرجه الفضائل الرازى عن العلاء بن الفضل عن أمه ، راجع : حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

د / وصايا الخليفة الرابع
على بن أبى طالب
رضى الله عنه

على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ رابع الخلفاء الراشدين المهديين ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ وهو أول من أسلم من الصبيان ، ولذلك لم يسجد لصنم فى حياته ، وهو زوج فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ وهو أبو الحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين .

ولعلى بن أبى طالب مئات الوصايا الخالدة ، والنصح المفيد ، فقد كان ـ رضوان الله عليه ـ من الفصحاء البلغاء ، الذين شبوا على نور وهدى الإسلام ، ومن وصاياه نعرض البعض اليسير منها :

١ـ وصية عامة :

ومن وصاياه العامة لكافة المسلمين ، قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ :

« يا ابن آدم !! لا تجعل هم يومك الذى يأتى على يومك الذى أنت فيه ، فإن لم يكن من أجلك يأت فيه رزقك ، واعلم أنك لا تكتسب من المال فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك »[1] .

٢ـ وصية من أجل الخير :

ومن وصاياه ـ رضوان الله عليه ـ الخالدة قوله :

---

(١) راجع : حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٥٣٠ .

« ليس من الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، ولا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين : رجل أذنب ذنوبا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع فى الخيرات ولا يقبل عملاً إلا فى تقوى ، وكيف يقل ما يُتَقَبَّل ؟ » «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منها بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل »[1].

٣ـ وصية لأمير :

وأوصى على بن أبى طالب أحد الأمراء الذين عينهم على بلدة من بلاد الإسلام، فقال له فى وصية حكيمة [٢] .

« أما بعد ! فلا تطولن حجابك على رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم من الأمور، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل؛ وإنما الوالى بشر لا يعرف ماتوارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على القول سمات يعرف بها صروف الصدق من الكذب فيحصن من الإدخال فى حقوق بلين الحجاب . فإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سَخَتْ نفسك بالبذل فى الحق فتقيم احتجابك من حق تعطيه أو خلق كريم تسديه ، وإما مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عنك وعن مساءلتك إذا يئسوا عن ذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك لا مؤنة فيه عليك من مَشْكَاةِ مَظْلمةٍ أو طلب إنصاف . فانتفع بما وصفت ، واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله ! » .

---

(١) راجع : أبو بكر الجزائرى، العلم والعلماء ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(٢) أخرجه الدينورى ، راجع: حياة الصحابة ، ج٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

٤ـ وصيته عند بداية عهده :

وقد خطب سيدنا على ـ رضى الله عنه ـ خطبة عقب توليه أمر المسلمين ، جمعت بين البلاغة والوعظ والوصايا ، وكانت خطبة غنية بالبيان ، وفيها قال (١):

صعد على المنبر فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال: « إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض أدوها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ يؤدكم إلى الجنة . إن الله حرم حُـرَماً غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق . ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم وإنما من خلفكم الساعة تحدوكم؛ تخففوا تلحقوا. فإنما ينتظر الناس أخراهم . اتقوا الله عباد الله فى عباده وبلاده ، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله ـ عز وجل ـ ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشر فدعوه ، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض » .

٥ـ وصيته إلى بعض عماله :

وكان ذلك العصر عصر توسع الدولة الإسلامية ، فخاف من بعض أمرائه ـ لجمع الزكاة وقيادة الجيوش وغيرها من أمور المسلمين ـ الانحراف، فأراد أن يذكرهم على ابن أبى طالب بتقوى الله ومراعاته فى السر والعلن ، فقال لهم (٢) :

« رويداً ! فكأن قد بلغت المدى ، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذى ينادى المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيع التوبة ، والظالم الرجعة » .

وأخرج ابن زنجويه عن رجل من ثقيف قال : استعملنى على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ على عكبرا ، فقال لى وأهل الأرض عندى :

---

(١) عبد الوهاب النجار ، مرجع سابق ، ص٣٤٤ .

(٢) أخرجه الدينورى وابن عساكر ، راجع ، حياة الصحابة ، ج٢ ، ص١٠١ .

« إن أهل السواد قوم خدع فلا يَـخْدَعُنَّكَ ، فاستوف ما عليهم » .

ثم قال لى : رح إلىّ . فلما رجعت إليه قال لى :

« إنما قلت لك الذى قلت لأسمعهم ، لا تضربن رجلاً منهم بسوط فى طلب درهم ، ولاتقمه قائماً ، ولا تأخذن منهم شاة ولابقرة ؛ إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، أتدرى ماالعفو ؟ الطاقة » .

٦ـ خطبة بليغة وبيان رائع ووصية عامة :

وقد خطب على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى الناس خطبة بليغة ، عندما قام إليه رجل من أصحابه ، وقال له :

ـ لقد نهيتنا عن الحكومة ، ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أى الأمرين أرشد. فصفق ـ رضى الله عنه ـ إحدى يديه على الأخرى ، ثم قام خطيبا فى الناس فقال [1]:

« هذا جزاء من ترك العقدة ، أما والله لو أنى حين أمرتكم بها أمرتكم به حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيراً ؛ فإن استقمتم هديتكم ، وإن اعوججتم قوّمتكم . وإن أبيتم تداركتكم ، لكانت الوثقى . ولكن بمن وإلى من ؟ أريد أن أداوى بكم وأنتم دائى ، كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها . اللهُـمَّ قد ملّت أطباء هذا الداء الدوىّ ، وكَلَّت النزعة بأشطان الرّكىّ ، أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحكموه . وهيجوا إلى بأطراف الأرض زحفاً زحفًا وصفًّا صفًّا : بعض هلك ، وبعض نجا . لايُبَشَّرُنَّ بالأحياء ، ولايعزون بالموتى ، مُره العيون من البكاء ، خمص البطون من الصيام ، ذُبّل الشفاه من الدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين .

أولئك إخوانى الذاهبون ! فحق لنا أن نظمأ إليهم ، ونعضّ الأيدى على فراقهم » .

---

(١) راجع : أبو الحسن الندوى (عن نهج البلاغة) (مختارات من أدب العرب) مرجع سابق ، ص ٤٠ ، ٤١ .

٧- الوصايا بأربعة أشياء :

وهذه وصية واجبة الاتباع ، فهي وصايا على بن أبي طالب الثمينة (١):

وقال على بن أبي طالب - رضى الله عنه - : « أوصيكم بأربع لو ضربتم إليها آباط الإبل لكُنَّ لها أهلاً : لا يرجونَّ أحدٌ منكم إلا ربَّه ؛ ولا يخافَنَّ إلا ذنبَه ؛ ولا يستحيِ أحَدٌ إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا إذا لم يعْلَم الشيء أن يتعلّمه . وإنَّ الصبرَ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأسُ ذهب الجسَد ، وكذلك إذا ذهبَ الإيمان » .

٨- مجموعة من خطب ووصايا على بن أبي طالب :

وله - رضى الله عنه - مجموعة من الخطب والوصايا ، نذكر بعضها(٢):

قال أبو عبيْدة مَعمر بن المثنى : أول خطبة خطبها على بن أبي طالب - رحمه الله - أنّه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبّيه :

أما بعد فلا يُرْعِيَنَّ مُرعٍ إلا على نفسه ؛ فإنَّ من أرْعَى على غير نفسه شُغِل عن الجنة ، والنارُ أمامَه . ساعٍ مجتهد ينجو ، وطالبٌ يرجو ، ومقصِّر فى النار . ثلاثة ، واثنان : ملَكٌ طارَ بجناحيه . ونبيٌّ أخَذَ الله بيديه ، ولا سادس .

هَلَكَ من ادَّعى ، ورَدِيَ مَن اقتحم ؛ فإنّ اليمين والشِّمال مَضَلّة ، والوسطَى الجادَّةُ ، منهجٌ عليه باقى الكتاب والسنّة ، وآثارُ النبوة . إنّ الله دَاوَى هذه الأمّة بدواءين : السَّيف والسوط ، فلا هوادةَ عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم وأصلِحوا فيما بينكم ، والتَّوبة من ورائكم . مَن أبدى صفْحَتَهُ للحقّ هلك . قد كانت لكم أمورٌ مِلتُم علىّ فيها مَيلةً لم تكونوا عندى فيها بمحمودين ولا مصيبين ، أما إنِّى لو أشاء لقلت عَفا الله عمّا سلف . سَبَق الرجلان وقامَ الثالث ، كالغُراب همته بطنه،

---

(١) راجع : عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٧٧ .
(٢) الجاحظ ، المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥٦ .

ياوَيْحَه !! لو قُصَّ جناحاه وقُطِع رأسه لكان خيراً له ، انظروا فإن أنكرتم فأنكروا، وإنْ عَرَفتم فآزروا . حقٌّ وباطل ، ولكلّ أهل ؛ ولئن أمِرَ الباطل لقديما فعل ، ولئن قَلَّ الحق لربما ولعلَّ ، ما أدبر شىء فأقبل ، ولئن رجعَتْ عليكم أمورُكم إنكم لسُعَداء، وإنّى لأخشى أن تكونوا فى فَتْرةٍ ، وما علينا إلا الاجتهاد .

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

« ألا إن أبرارَ عِترتى ،وأطاليبَ أُرومتى ، أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً، ألاَ وإنّا أهلُ بيت مِن علم الله عَلِمنا ، وبحُكم الله حَكَمْنا ، ومِن قولِ صادقٍ سَمِعنا . وإن تَتّبِعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يُهْلكْكم الله بأيدينا ، معنا رايةُ الحق ، مَن تبِعها لَحِق ، ومَن تأخّر عنها غَرِق ، ألاَ وإنَّ بنا تُرَدُّ دَبْرَة كلِّ مؤمن، وبنا تُخْلع رِبقة الذّلّ من أعناقكم ، وبنا غُنِم ، وبنا فَتَح الله لاَ بِكُمْ ، وبنا يُختم لا بكم ».

وخطبة لعلى بن أبى طالب أيضا رضى الله عنه

« أمّا بعدُ : فإن الدنيا قد أدبرَت وآذنت بوَداع ، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع ، وإنّ المضمار اليومَ والسِّباق غداً ، ألاَ وإنكم فى أيامِ أملٍ من ورائه أجل ، فمَن أخلَصَ فى أيام أمله قبل حضور أجله [فقد] نفعه عمله ، ولم يضرُرْهُ أمله ، ومن قصّر فى أيام أمَله قبل حضور أجَله، فقد خسِر عملُه ، وضَرّه أملُه . ألاَ فاعمَلوا لله فى الرَّغبة ، كما تعملون له فى الرَّهبة ، ألاَ وإنّى لم أر كالجنّة نام طالبُها ، ولا كالنّار نامَ هاربها ، ألا وإنّه من لم ينفعْه الحقّ يضرّه الباطل ،ومن لم يستقم به الهُدَى يَجُرْ بِهِ الضّلاَل ، ألاَ وإنكم قد أُمرتم بالظَّعْن ، ودُللتُم على الزّاد ، وإنّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتّباعُ الهوى وطُولُ الأمل .

ومن خطب على أيضا رضى الله عنه

قالوا : أغار سُفيان بن عوف الأزدىّ ثم الغامدىّ على الأنبار ، زمانَ على بن

أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وعليها حسّان ـ أو ابن حسّان ـ البكرى فقتلَه ، وأزال تلك الخيلَ عن مسَالحِها ، خرج على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ حتى جلَس على باب السُّدَّة ، فحمِد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال :

« أمَّا بعدُ : فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة . فمن تركَه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذُّلّ ، وشمِله البلاء ، ولَزِمَه الصَّغار ، وسِيمَ الخسفَ ، ومُنِعَ النَّصَف . ألاَ وإنِّى قد دعوتُكم إلى قتال هؤلاءِ القومِ ليلاً ونهارا ، وسِرًّا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزُوهم قبل أن يَغزوكم ؛ فوالله ما غُزِىَ قومٌ قطُّ فى عُـقْـرِ دارهم إلا ذَلُّوا ، فتوا كلتم وتخاذلتُم ، وثَقُل عليكم قولى واتّخذتُـموه وراءَكم ظِهريًّا ، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هـذا أخو غامدٍ قد وردَتْ خيلُهُ الأنبار ، وقتَل حسَّان ـ أو ابن حسَّان ـ البكرى ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، وقتَل منكم رجالا صالحين ، ولقد بلغنى أنَّ الرَّجلَ منهم كان يدخل على المسلمة والأُخرى المعاهَدة ، فينزع حِجْلها وقُلْبَها ودعائها ، ثم انصرفوا وافِرِين ، ما كُلم رَجلٌ منهم كَلْماً ، فلو أن امرأً مسلما مات من بعد هذا أسفاً ، ما كان عندى به ملوما ، بل كان به عِندى جديراً . فيا عجبا من جِدِّ هؤلاء القوم فى باطلهم ، وفَشَلِكم عن حَقِّكم . فقُبْحاً لكم وتَرحاً ، حين صِرتم هدفاً يُرمَى ، وفَـيئاً يُـنتَهب ، يُغار عليكم ولا تُغِيرون ، وتُـغـزَوْن ولا تَغزُون ، ويُعصَى اللهُ وتَرضَون ؛ فإذا أمرتُكم بالسَّير إليهم فى أيّام الحرّ قلتم : حَمَارَّةُ القيظ ، أمهِلْنا يَنسلخْ عنّا الحرّ ، وإذا أمرتُكم بالسَّير فى البَرد قلتم : أمهلْنا ينسلخ عنا القُـرُّ . كل ذا فِراراً من الحَرّ والقُـرّ ، فإذا كنتم من الحر والقُرِّ تفِـرُّون ، فأنتم والله من السيف أفَـرُّ ، ياأشباهَ الرِّجال ولا رجالَ، ويا أحلام الأطفالِ وعقولَ رَبّاتِ الحِجَال ، وددتُ أنّ الله قد أخرجنى من بين ظَهرانَيْكم وقَبَضَنِى إلى رحمته من بينكم !! والله لَـوَدِدْتُ أنِّى لم أرَكم ، ولم أعرِفكم. معرفة والله جَـرَّتْ ندَماً . قد وَرَيْتم صدرى غيظاً ، وجَـرَّعتمونى الموت أنفاساً ، وأفسدتُم علىَّ رأيى بالعصيان والخِذلان ، حتى قالت قريش : ابن أبى طالب شجاعٌ ولكن لاعلمَ له بالحرب ، لله أبوهم !! وهل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراساً أو أطولُ لها تجربةً منِّى ؟ لقد مارستها ومابلغتُ العشرين ، فهأنذا قد نيّفت على السِّتين ، ولكن لا رأى لمن لايُطاع ».

قال : فقام له رجلٌ من الأزد يقال له فلان بن عفيف ، ثم أخذ بيد ابن أخ له فقال : هأنذا يا أمير المؤمنين لا أملك إلا نفسى وابن أخى ، فأْمُـرْنا بأمرك ، فوالله لنَـمْضينَّ له ولو حال دون أمرك شوكُ الهَـرَاس وجَمْرُ الغَضَى . فقال لهما على : وأين تبلغان ما أريد ؛ رحمكما الله ! ! .

وقال على بن أبى طالب أيضا :

« أيها الناسُ المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤكم ، كلامكم يُوهِى الصُّمَّ الصِّلاَب ، وفعلكم يُطمع فيكم عَدُوَّكم . تقولون فى المجالس كَيتَ وكَيتَ ، فإذا جاء القتال قلتم حِيدِى حَيَادِ . ما عَزَّت دعوةُ مَن دعاكم ، ولا استراح قلبُ من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليل ، سألتمونى التأخيرَ دِفاعَ ذى الدَّيْنِ الـمطُولِ . هيهات لا يمنع الضَّيمَ الذَّليلُ ، ولا يُدرَك الحقُّ إلا بالجِدّ . أىَّ دارٍ بعد داركم تَمنعون ؟ أم مع أىِّ إمامٍ بعدى تقاتلون ؟ « المغرورُ وَالله مَن غَـررتموه ، ومَن فاز بكم فاز بالسهمِ الأخيب ، أصبحت ـ والله ـ لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، فرق الله بينى وبينكم ، وأعقبَنِى بكم مَن هو خيرٌ لى منكم ، لَـوَددتُ أنَّ لى بكلِّ عشرة منكم رجلاً من بنى فِـرَاسِ بن غَنمٍ ، صَـرْفَ الدينار بالدِّرهم »

* * *

خامسا : وصايا الصالحين والصحابة رضى الله عنهم والتابعين رحمهم الله

هذه جولة عزيزة فى وصايا الصالحين والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين ـ رحمهم الله ـ وهى من خير الكلام بعد القرآن الكريم والحديث الشريف وسنة الخلفاء الراشدين ، وعلينا أن نقتدى بهم وننفذ وصاياهم ؛ لأنهم ببساطة شديدة ، لم يقولوها عبثاً ، وإنما تعتبر خلاصة التجارب الطيبة ، وتعتبر من الكلام الطيب الذى يغنى المسلم أينما كان، عسى الله أن يحشرنا معهم فى جنات النعيم ، ولم لا ؟ فمن أحب جماعة حشر معهم، والصالحون والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى عليين ـ إن شاء الله ـ وندعو المولى ـ عز وجل ـ بحبنا لهم أن يحشرنا معهم فى جنات النعيم .

وحياة الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ كانت كلها جهاداً فى سبيل إعلاء كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، ولذلك انتشرت راية الإسلام عالية خفاقة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهنا نتعرض لقبس يسير من وصاياهم ، بدون ترتيب زمنى أو اجتماعى أو فئوى، عسى الله أن يهدينا بهديهم آمين يا رب العالمين :

١ـ وصية ابن مسعود لابنه :

أوصى عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ابنه بثلاث كلمات جامعة شاملة تغنى عن الدنيا وما فيها ، فماذا قال له :

«أى بنى ! ! أوصيك بتقوى الله ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » [١] .

---

(١) رواه الطبرانى ـ راجع حياة الصحابة ـ مرجع سابق ـ ج٢ ـ ص٥٢٨ .

٢ ـ وصية عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنه ـ عند الوفاة :

وعبدالله بن عمر أحد الصحابة الأخيار ، ويعتبر حبر الأمة الإسلامية، وله من المآثر الكثير والكثير ، وله من الوصايا الكثير ، ولكن هذه الوصية عندما حضرته الوفاة، قال :

« انظروا فلانا ، فإنى قلت له فى ابنتى قولا كشبه الْعِدَةِ ، فما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق ، فأشهدكم أنى قد زوجته » [١] .

٣ ـ وصية أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ :

ولأبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ وصية جاءت فى إحدى مواعظه ، قال :

« عليكم بالصبر فيما أحببتم أو كرهتم !! فنعم الخصلة الصبر! ! ولقد أعجبتكم الدنيا ومدت لكم أذيالها ، ولبست ثياب زينتها ، إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يجلسون فى فناء بيوتهم يقولون : نجلس فنسلم ويسلم علينا » [٢] .

٤ ـ وصية الهيثم بن صالح لولده :

وأوصى الهيثم بن صالح ـ رحمه الله ـ أحد أبنائه ، فقال له :

« يا بنى : إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، فقال : يا أبت، فإن أكثرت وأكثرت، يعنى كلاماً وصوابا ، فقال : يا بنى ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك ، ثم أنشد قول أبى الفتح البستى[٣] :

تكلم ، وسدد ما استطعت فإنما ... كلامُك حى والسكوتُ جمادُ

فإن لم تجد قولا سديدا تقوله ... فصمتك عن غير السداد سداد

٥ ـ وصية قيس بن عاصم عند موته :

وأوصى قيس بن عاصم بنيه عند موته وصية حكيمة ، فقال لهم :

---

(١) أخرجه ابن عساكر ، المرجع السابق ، ص٥٢٣ .

(٢) أخرجه ابن عساكر ، راجع المرجع السابق ، ج٢، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٣) أبو الحسن على الماوردى (أدب الدنيا والدين) تحقيق مصطفى السقا ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، ص٢٦٩ .

« اتقوا الله وسودوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودوا أصغرهم أزرى بهم ذلك فى أكفانهم ، وعليكم بالمال، واصطناعه ، فإنه منبهة للكريم، ويُستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس ، فإنها من آخر كسب الرجل، وإذا مت فلا تنوحوا ، فإنه لم ينح على رسول الله ﷺ وإذا مت فادفنونى بأرض لا يشعر بدفنى بكر بن وائل ، فإنى كنت أغافلهم فى الجاهلية »[1].

٦ـ وصية لفلذة الكبد :

وهى وصية بليغة حكيمة ، فمن المعروف علميًا واجتماعيًا أن الإنسان لا يريد أن يكون هناك من هو خير منه إلا ابنه ، ولذلك فإن الوصية للابن تكون نابعة من القلب والجوارح والعقل أيضا ، وتكون الوصايا للأبناء وصايا تجمع بين خبرة السنين وبلاغة الحكمة .

وفى هذا المقام نرى وصية عمير بن حبيب بن حماسة ـ رضى الله عنه ـ لولده ، فيقول له :

« يا بنى : إياك ومجالسة السفهاء ؛ فإن مجالسهم داء ، ومن يحلم عن السفيه يسر ، ومن يجبه يندم ، ومن لا يرضى بالقليل مما يأتى به السفيه يرضى بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى ويثق بالثواب من الله تعالى ، فإنه من وثق بالثواب من الله ـ عز وجل ـ لم يضره مس الأذى »[2].

٧ـ وصية أبى هريرة فى احترام وتقديس الأب :

وهذه وصية ثمينة تُبين منهج الحياة ومقصدها ، قال أبو غسان الضبى :

« خرجت أمشى مع أبى بظهر الحرة ، فلقينى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ فقال لى : من هذا ؟ قلت : أبى ، قال : لا تمش بين يدى أبيك، ولكن امش خلفه أو إلى

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد عن ابنة حكيم ، وجاء فى حياة الصحابة ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(٢) أخرجه الطبرانى، راجع : حياة الصحابة ، ج٢ ، ص ٥٢٦.

جانبه، ولا تدع أحداً يحول بينك وبينه ، ولا تمش فوق إجار أبيك تخفه ، ولا تأكل عرقاً قد نظر أبوك إليه لعله اشتهاه»[1].

٨ ـ وصية ثمينة لسلمان الفارسي ـ رضى الله عنه ـ :

الصحابى الجليل سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ كان من الصحابة الزاهدين الذين لا يتكلمون إلا فى خير ؛ ولذلك فإن وصيته هذه تعتبر حكمة بليغة يجب تنفيذها على الفور :

« جاء رجل إلى سلمان الفارسى ، فقال : أوصنى ، قال : لا تتكلم ، قال : لا يستطيع من عاش فى الناس أن لا يتكلم ، قال : فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت ، قال الرجل : زدنى ، قال : لا تغضب ، قال الرجل : إنه يغشانى ما لا أملكه ، قال سلمان ـ رضى الله عنه ـ : فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك ، قال الرجل : زدنى ، قال : لا تلابس الناس ، فقال الرجل : لا يستطيع من عاش فى الناس أن لا يلابسهم ، قال سلمان ـ رضى الله عنه ـ : فإن لابستهم فاصدق الحديث وأد الأمانة»[2].

٩ ـ وصية ابن عباس لرجل بتقوى الله :

ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ابن عم رسول الله ﷺ وهو من الصحابة المجدين المجتهدين لخدمة الإسلام والمسلمين ، وروى عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التى توضح لنا معالم الطريق .

« ولقد جاء رجل إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال : أوصنى ، فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : أوصيك بتقوى الله ، وإياك وذكر أصحاب رسول الله ﷺ فإنك لا تدرى ما سبق لهم »[3].

١٠ ـ الوصية بالبكاء على رخاء الحياة :

وروى هذه الوصية أبو عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن الصحابة المقربين لرسول الله ﷺ :

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، راجع ، المرجع السابق ، ص ٣٨٣ ، ج٢ .
(٢) راجع : أبو بكر الجزائرى (العلم والعلماء) مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .
(٣) أخرجه الطبرانى عن سعيد بن جبير ، راجع حياة الصحابة ، ج٢ ، ص ٣٠٣ .

« دخل رجل على أبي عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ فوجده يبكى ، فقال لـه : ما يبكيك يا أبا عبيدة ؟ ، فقال ـ رضى الله عنه ـ : نبكـى أن رسـول الله ﷺ ذكر يومـا ما يفتح الله على المسلمين ، ويُفىء عليهم ، حتى ذكر الشام ، فقال : إن ينسأ فى أجلك يا أبا عبيدة ، فحسبك من الخدم ثلاثة : خادم يخدمك ، وخادم يسافر معك ، وخادم يخدم أهلك ويرد عليهم ، وحسبك من الدواب ثلاثة : دابة لرحلك ، ودابة لثقلك ، ودابة لغلامك ، ثم ، هأنذا أنظر إلى بيتى قد امتلأ رقيقاً ، وأنظر إلى مربطى قد امتلأ دوابَّ وخيلاً ، فكيف ألقى رسول الله ﷺ بعد هذا ؟ ! وقد أوصانا رسول الله ﷺ : «إن أحبكم إلى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال الذى فارقنى عليه » رواه أحمد [1].

١١ـ وصية خالدة لعمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ :

والخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ من الخلفاء الذين اشتهروا بالورع والتقى ، ولذلك فإن وصاياهم هامة جدا ؛ لأننا نلتمس فى وصاياهم نور الإيمان الحقيقى الذى يوصلنا إلى الجنة هدف المؤمن إن شاء الله .

ومن وصاياه ـ رحمه الله ورضى الله عنه ـ نقتبس هاتين الوصيتين لرجلين من المسلمين :

« أوصيك بتقوى الله الذى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يُثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل » .

« أوصيك بتقوى الله والانشمار (أى الاجتهاد) به ، لما استطعت من مالك وما رزقك الله إلى دار قرارك ، فكأنك والله ذقت الموت ، وعانيت ما بعده بتصريف الليل والنهار ، فإنهما سريعاً فى طى الأجل ونقص العمر، ولم يفتهما شىء إلا أفنياه ، ولا زمن مرا به إلا أبلياه ، مُستعدان لما بقى بمثل الذى أصاب من قد مضى ، فنستغفر الله لسىء أعمالنا ، ونعوذ به من مقته إيانا عما نعظ به مما نقصر عنه » [2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبى حسنة بن أكيس مولى عبد الله بن عامر ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢١٤ .

(٢) أبو بكر الجزائرى (العلم والعلماء) مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .

وله وصية أخرى لقائد جيشه منصور بن غالب ، وهى موعظة ووصية تدل على الاهتمام بأصول الإسلام ، قال فيها [1]:

«هذا ما عهد به عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب وحربه من استعرض من أهل الصلح ، أمره فى ذلك بتقوى الله على كل حال نزل به من أمر الله ، فإن تقوى الله أفضل العدة ، وأبلغ المكيدة ، وأقوى القوة . وأمره أن لا يكون من شيء من عدوه أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه من معاصى الله ، فإن الذنوب أخوف عندى على الناس من مكيدة عدوهم . وإنما نعادى عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم . ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ؛ لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدّتنا كعدتهم . فلو استوينا نحن وهم فى المعصية كانوا أفضل منا فى القوة والعدد ، فإن لا ننصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا . ولا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم . ولا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاهداً منكم لذنوبكم . واعلموا أن معكم من الله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون فى مسيركم ومنزلكم ، فاستحيوا منهم ، وأحسنوا صحابتهم ، ولا تؤذوهم بمعاصى الله ، وأنتم زعمتم فى سبيل الله . ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلطوا علينا وإن أذنبنا ، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم بذنوبهم ، فاسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، وأسأل الله ذلك لنا ولكم» .

وأمره أن يرفق بمن معه فى سفرهم ، ولا يجشّمهم مسيراً يتعبهم فيه ، ولا يقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنما يسيرون إلى عدوّ مقيم جامّ الأهبة والكُراع ، فإن لا يرفقوا بأنفسهم وكُراعهم فى مسيرهم يكن لعدوهم فضل فى القوة عليهم بإقامتهم فى جمام الأنفس والكُراع والله المستعان .

وأمره أن يقيم ومن معه فى كل جمعة يوماً وليلة يكون لهم راحة يجمُّون فيها أنفسهم وكراعهم ويرمّون أسلحتهم وأمتعتهم .

وأمره أن ينحى منزله عن قرى الصلح فلا يدخلها أحد من صحابه لسوقهم

---

(1) أبو الحسن الندوى ، مرجع سابق ص ٥٠ ، ٥١ ، ج٢ ، ورواه محمد بن عبد الله بن الحكم فى سيرة عمر بن عبد العزيز .

وجماعتهم إلا من يثق بدينه وأمانته على نفسه ، ولا يصيبوا منها ظلماً ، ولا يتزودوا منها إثما ، ولا يؤذوا أحداً من أهلها بشىء إلا بحق ، فإن لهم حرمةً وذمةً ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم ففوا لهم . ولا تستنصروا على أهل أرض الحرب بظلم أهل أرض الصلح ، فلعمرى لقد أعطيتم مما يحل منهم ما يغنيكم عنهم ، فلم أترك لكم خللاً فى العدة ، ولا رقة فى القوة ، فتظاهرت واكتفت لكم العُدد ، وانتخبت لكم الجند ، وأغنيتك بأرض الشرك عن أرض الصلح ، وبسطت لك أفضل ما بسطت لغازٍ . فلم أجعل لك علة فى التقوية ، وبالله الثقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأمره أن تكون عيونه من العرب وممن يطمئن إلى نصيحته وصدقه من أهل الأرض ، فإن الكذوب لا ينفع خبره وإن صدق فى بعضه . وإن الغاش عين عليك وليس بعين لك ـ والسلام عليك .

١٢ ـ وصية صحابى جليل إلى أمير المؤمنين :

وهذه الوصية تُبين جوهر الإسلام ومساواته بين الرئيس والمرءوس ، فلقد أوصى سعيد بن عامر الجمحى ـ رضى الله عنه ـ (وهو من صحابة رسول الله ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ) عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وصية هامة يجب أن نضعها أمام أعيننا ودراساتنا دائما ؛ لأن نور الإسلام يشع فى القلوب من خلالها ، فلقد بدأ وبادر الصحابى الجليل بقوله لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : إنى أريد أن أوصيك ياعمر !!! قال له عمر ـ رضى الله عنه ـ : أجل فأوصنى . فلم يتردد الصحابى ، فأوصاه ، فقال له[1] :

« أوصيك أن تخشى الله فى الناس ، ولا تخشى الناس فى الله ، ولا يختلف قولك وفعلك ، فإن خير القول ما صدقه الفعل ، لا تقض فى أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق ، وخذ بالأمر ذى الحجة تأخذ بالفلج ، ويعينك الله ويصلح رعيتك على يديك ، وأقم وجهك وقضاءك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم ، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك ، وخض الغمرات إلى الحق ، ولا تخف فى الله لومة لائم » .

---

(١) راجع (حياة الصحابة) ج٢ ، ص ١٠٢ ، وأخرجه ابن سعد وابن عساكر .

فقال عمر : من يستطيع ذلك ؟ فقال سعيد : مثلك ، من ولاه الله أمر أمة محمد ﷺ ثم لم يحل بينه وبين الله أحد .

١٣ـ ووصية أخرى من صحابيين جليلين إلى أمير المؤمنين :

وننشر هذه الوصية لنُبين أن الوصية السابقة لم تكن مجرد وصية عابرة، بل من جوهر الإسلام ، فهذان صحابيان هما أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ـ رضى الله عنهما ـ يوصيان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقالا له [1]:

« من أبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب : سلام عليك ، أما بعد ! فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! فإنا نحذرك يوماً تعنو فيه الوجوه ، وتجف فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته ، فالخلق داخرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه . وإنا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية ، أعداء السريرة ؛ وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا ، فإنما كتبنا به نصيحة لك ، والسلام عليك ! » .

فكتب إليهما عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

« من عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة ، ومعاذ : سلام عليكما ! أما بعد : أتانى كتابكما ، تذكران أنكما عهدتمانى وأمر نفسى لى مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يدى الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ؛ كتبتما : فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! وإنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجل . وكتبتما تحذرانى ما حذرت منه الأمم قبلنا ، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار . كتبتما تحذرانى : أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستم بأولئك ، وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة ، تكون رغبة

---

(١) حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج٢ ص١٠٣ـ١٠٥ ، وأخرجها أبو نعيم

الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم . كتبتما تعوذانى بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما ؛ وأنكما كتبتما به نصيحة لى وقد صدقتما ، فلا تدعا الكتاب إلى فإنه لا غنى بى عنكما ، والسلام عليكما! » .

١٤ـ وصية أبى عبيدة بن الجراح إلى المسلمين :

وهذه وصية تؤكد عظمة الإيمان فى النفوس والقلوب للصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فعندما طُعن أبو عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ أراد أن يكون آخر كلامه وصية للمسلمين ، ولم لا ؟ ألم يعلم الصحابة أن الدين النصيحة ؟! وها هو يوصى المسلمين قبل الموت ، بعد أن طُعن فى الشام ، فيقول (١):

« إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة ، وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا ، وحجوا ، واعتمروا ، وتواصوا ، وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم؛ ولا تلهيكم الدنيا ؛ فإن امرأ لو عُمِّرَ ألف حَوْلٍ ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون ، إن الله تعالى كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون ، فَأَكْيَسُهُمْ أطوعهم لربه ، وأعملهم ليوم معاده . والسلام عليكم ورحمة الله ! يا معاذ بن جبل ! صَلِّ بالناس » .

١٥ـ وصية معاذ بن جبل للمسلمين :

وبعدما طُعن أبو عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ ومات ، قام معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ فأوصى الناس حتى لا يفتتنوا ، فقال لهم (٢):

« أيها الناس : توبوا إلى الله من ذنوبكم ، فأيما عبد يلقى الله تعالى تائباً من ذنبه إلا كان على الله حقاً أن يغفر له . من كان عليه دين فليقضه ، فإن العبد مرتهن بدينه . ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليلقه فليصالحه ، ولا ينبغى لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام . أيها المسلمون : قد فجعتم برجل ما أزعم أنى رأيت عبداً أبر صدراً ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حباً للعامة ولا أنصح منه . فترحموا عليه ، واحضروا الصلاة عليه » .

---

(١) أخرجه سعيد بن المسيب ، راجع حياة الصحابة ، ج٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) راجع : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

١٦ـ وصية عن أخلاق المؤمن للحسن البصرى :

والحسن البصرى ـ رحمه الله ـ هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، وأمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة زوج النبى ﷺ وهو ممن اشتهروا بالحكمة والفصاحة والعلم النافع .

وله وصية فى أخلاق المؤمن ، يقول فيها (١):

« هيهات هيهات !! أهلك الناسَ الأمانى ، قول بلا عمل ، ومعرفة بغير صبر ، وإيمان بلا يقين ، ما لى أرى رجالاً ولا أرى عقولاً ، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ، دخل القوم والله ثم خرجوا ، وعرفوا ثم أنكروا ، وحرَّموا ثم استحلُّوا ؛ إنما دين أحدكم لعقة على لسانه ، إذا سئل أمؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم ! كذبَ ومالكِ يوم الدين ، إن من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وحزماً فى لين ، وإيماناً فى يقين ، وعلماً فى حلم ، وحلماً بعلم ، وكيساً فى رفق ، وتجمُّلاً فى فاقة ، وقصداً فى غنى ، وشفقة فى نفقة، ورحمة لمجهود ، وعطاء فى الحقوق ، وإنصافاً فى استقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، ولا يهمز ، ولا يغمز ، ولا يلمز ، ولا يلغو ، ولا يلهو ، ولا يلعب ، ولا يمشى بالنميمة ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذى عليه ، ولا يتجاوز فى العذر ، ولا يشمت بالفجيعة إن حلَّت بغيره، ولا يسر بالمعصية إذا نزلت بسواه .

المؤمن فى الصلاة خاشع ، وإلى الركوع مسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظره عبرة ، يخالط العلماء ليعلم ، ويسكت بينهم ليسلم ، ويتكلم ليغنم ، إن أحسن استبشر ، وإن أساء استغفر، وإن عتب استعتب ، وإن سفه عليه حلم ، وإن ظلم صبر ، وإن جير عليه عدل ، لا يتعوذ بغير الله ، ولا يستعين إلا بالله ، وقور فى الملأ ، شكور فى الخلا ، قانع بالرزق ، حامد على الرخاء ، صابر على البلاء ، إن جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين ، وإن جلس مع الذاكرين كتب من المستغفرين .

---

(١) أبو الحسن الندوى ، مختارات ، مرجع سابق ، ج٢،ص٥٢ ، ٥٣ ، ورواها عبد الرحمن بن الجوزى فى سيرة البصرى .

هكذا كان أصحاب النبى ﷺ الأول فالأول ، حتى لحقوا بالله - عز وجل - وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وإنما غُير بكم لما غيَّرتم . ثم تلا :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾

[الرعد : ١١] .

١٧ - وصية امرأة مسلمة لابنها ، وهو على وشك السفر :

وروى الأصمعى عن أبان بن تغلب وصية لامرأة مسلمة توصى ابنها وهو على وشك السفر والترحال ، فأكدت له المفاهيم الإسلامية الرائعة ، وقالت له (١):

« اجلسْ أمنحْك وصيتى وبالله توفيقك ، وقليل إجدائها عليك أنفعُ من كثيرِ عقلك : إيّاك والنمائمَ فإنَّها تزرع الضَّغائن ، ولا تجعل نَفْسك غرضاً للرماة ، فإن الهدفَ إذا رُمِىَ لم يلبثْ أن ينثلم ، وَمَثّل لِنَفسك مثالاً فما استحسنتَه من غيرك فاعمَلْ به ، وما كرهته منه فدعه واجتنبه ، ومَن كانت مودته بِشرهُ كان كالرّيح فى تصرُّفها .

ثم نظرتْ فقالت : كأنك يا عراقىُّ أعجبت بكلام أهلِ البدو ؟ ثم قالت لابنها : إذا هزَزتَ فهزّ كريماً ؛ فإنّ الكريمَ يهتز لهزتك . وإياك واللئيمَ فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، وإيّاك والغدْرَ فإنه أقبحُ ما تُعومِل به ، وعليك بالوفاء ففيه النَّماء . وكنْ بمالك جواداً ، وبدينك شحيحاً ، ومَن أُعطى السخاء والحِلم فقد استجاد الحُلة : رَيطتها وسِرْبالها ! انهَضْ على اسم الله » .

١٨ - وصية عامة لعبد الملك بن مروان :

وكتب الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان - رحمه الله - وصية بخط يده ، وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ، وهذه هى الوصية (٢) :

وقال عمرو بن عبيد - رحمه الله - : كتب عبدالملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر النَّاس بحفظها وتدبر معانيها ، وهى : « إن الله عز وجل جعل لعباده عُقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ، ومسىء

---

(١) رواها الأصمعى عن أبان بن تغلب ، راجع الجاحظ فى البيان والتبيين ج٤ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) الجاحظ ، مرجع سابق ، البيان والتبيين ، ج١ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

بخذلان الله إياه . ولله النعمة على المحسن ، والحجَّة على المسىء . فما أوْلَى من تمت عليه النعمة فى نفسه ، ورأى العبرة فى غيره ، بأن يضع الدُّنيا بحيث وضعها الله فيعطِىَ ما عليه منها ، ولا يتكثر مما ليس له فيها ؛ فإنَّ الدُّنيا دارُ فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولابد مِن لقاء الله ـ عز وجل ـ فأحذركم الله الذى حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة ، قبل أن تصيروا إلى الدار التى صاروا إليها ، فلا تقدروا فيها على توبة ، وليست لكم منها أوْبة . وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم » .

١٩ـ وصية لزياد بن أبيه :

وزياد بن أبيه ـ رحمه الله ـ من نوابغ العرب ، ومن أخطب الخطباء ، وأشهر السياسيين فى العصر الأموى الإسلامى ، وفى هذه الوصية الشاملة الجامعة يوصى الناس بالكف عن المعاصى ، فقال لهم [١]:

« أما بعد ! فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغى المُوفِىَ بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم . ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول . أتكونون كمن طَرَفَتْ عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهواتُ، واختار الفانية على الباقية ؟ ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف يقهر ، والضعيفة المسلوبة بالنهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة ، وباعدتم الدين . تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على النكر ، كل امرىء منكم يرد عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حُرَمَ الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً فى مكانس الريب . حرام علىّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً . إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف . وإنى لأقسم بالله لآخذن الولى

---

(١) رواه الجاحظ فى البيان والتبيين ، راجع : أبو الحسن الندوى ، مرجع سابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمطيع بالعاصى ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول : انجُ سعدُ فقد هلك سعيد ! أو تستقيم قناتكم . إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتى . فإذا سمعتموها منى فاغتمزوها فى . واعلموا أن عندى أمثالها ، من تقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب من ماله ، فإياى ودلج الليل ، فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإيّاى ودعوى الجاهلية ، فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة . فمن أغرق قوماً أغرقناه . ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حيًّا ، فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكف عنكم يدى ولسانى ، ولا تظهر من أحدكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه ، وقد كان بينى وبين قوم إحن . فجعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى . إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعاً . ولم أهتك له ستراً ، حتى يبدى لى صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم . وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خوّلنا . فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا . وايم الله ! إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل منكم أن يكون من صرعاى » .

٢٠ـ وصية عبد الله بن الحسن لابنه :

وأوصى عبد الله بن الحسن ابنه محمدا وصية خالدة بليغة ، فقال له [(١)] :

قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد وقد أراد الاستخفاء : « أى بنى : إنى مؤدّ إليك حق الله فى حسن تأديبك ، فأدّ إلىّ حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى : كف الأذى ، وارفض الْبَذَاءَ ، واستغن عن الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسُكَ فيها إلى القول، فإن للقول ساعات يضرّ فيها خطؤه ، ولا ينفع

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٣٢ .

صوابه. احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً ، فإنه يوشك أن يورطاك بمشورتهما ، فيسبق إليك مكر العاقل ، وتوريط الجاهل » .

٢١- وصية فى خطبة فتح الأندلس :

ومن الوصايا النافعة والخطب البليغة والتى نفذها المسلمون بحذافيرها ، تلك الوصية فى فتح الأندلس ، وتلك الخطبة المشهورة والوصية التى أوصاها طارق بن زياد عند فتح الأندلس ، وكان طارق بن زياد مولى لموسى بن نصير ، وقال فى خطبته ووصيته المشهورة[1]:

(أيها الناس : أين المفرّ ؟ البحر من ورائكم والعدوّ أمامكم ، وليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر . واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتام فى مأدُبَةِ اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحتُه وأقواتُه موفورة ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلاّ سيوفكم . ولا أقوات إلاّ ما تستخلصونه من أيدى عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية . فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة . وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم دونى على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدأ بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأَرْفَهِ الألذّ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما حظّكم فيه بأوفر من حظّى . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختانا ؛ ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان؛ ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولىّ أنجادكم على مايكون لكم ذكراً فى الدارين . واعلموا أنى أول مجيب إلى ما

---

(١) رواه المقرى فى نفح الطيب ، راجع : أبو الحسن الندوى ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص٤٥ ، ٤٦ .

دعوتكم إليه ، وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فَقَاتِلُهُ إن شاء الله تعالى . فاحملوا معى ، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تُسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه . واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله) .

٢٢ـ وصية قيس بن عاصم لمعلم ولده :

وأوصى قيس بن عاصم المنقرى ـ رحمه الله ـ معلم ولده ومؤدبه ، فساق له وصية غالية وثمينة ترشدنا لطريق التربية ؛ لأنه قالها لولده أمام الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان (١):

«لا تَـغْشَ السُّـلطانَ حتَّى يَمَلَّك ، ولا تقطعه حتَّى ينساك ، ولا تجلس له على فِراش ولا وِساد ، واجعلْ بينك وبينه مجلِسَ رجلٍ أو رجُلين ؛ فإنَّه عسى أن يأتىَ مَن هو أولى بذلك المجلس منك فتُقَامَ له ، فيكونَ قيامُك زيادةً له ، ونُقصاناً عليك » حَسْبِى بهذا المجلس يا أميرَ المؤمنين ، لعلَّه أن يأتى مَن هو أولى بذلك المجلس منِّى؛ فقال معاوية: « لقد أُوتِيَتْ تميمُ الحِكمةَ ، مع رِقَّةِ حواشى الكلمِ » . وأنشد يقول :

يـا أيُّـها السـائلُ عَمَّـا مـضى ... وعِلْـمِ هــذا الـزَّمـنِ العائبِ

إن كنتَ تبغِى الـعلمَ أو أهلَه ... أو شـاهداً يُـخْـبِـرُ عـن غـائِب

فـاعتبــر الأرضَ بسُكَّانهــا ... واعتبـر الـصَّاحبَ بالصَّاحبِ

٢٣ـ وصية بعض العلماء لأبنائهم :

وأوصى عالم من العلماء ابنه ، فقال له كلمات قليلة ، ولكنها ثمينة وشاملة وجامعة ، فقال لابنه هذه الوصية (٢) :

« تعلَّمُوا العلـم فإنكـم إن تكونـوا صغارَ قومٍ فعسى أن تكونوا كبارَ قـومٍ

---

(١) الجاحظ ، المرجع السابق ، ص٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ج١ .
(٢) المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

آخرين » . ثم قال : « النّاس بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم ، وإذا رأيتم من رَجُل خَلّة فاحْذروه ، واعلموا أنّ عنده لها أَخَوات » .

٢٤ـ وصية الحجاج لمعلم ولده :

وأوصى الحجاج بن يوسف الثقفى مُعلِّم ولده وصية توضح جوانب التربية التى يجب أن نعلمها أبناءنا بالترتيب الصحيح الأهم فالمهم . . . الخ ، فقال له (١) :

« علم ولدى السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ، ولا يصيبون من يسبح عنهم » .

٢٥ـ وصية عبد الله بن جعفر لابنته :

وهـذه مـن وصايـا المسلمين الثمينـة ، فلقـد أوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ (وكان من أجواد العرب ، وولد بالحبشة ، وتوفى بالأبواء بالقرب من المدينة المنورة) ابنته وصية إيمانية شاملة ، تُحدد لها معالم الطريق ، فلقد كانت على وشك الزواج، فقال لها (٢) :

« يابُنية : إياكِ والغيرةَ ؛ فإنها مفتاح الطلاق ، وإياكِ والمعاتبةَ فإنها تورث البغض ، وعليك بالزينة والطيب لزوجك ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء » .

٢٦ـ وصية عروة بن الزبير بن العوام بنيه :

ولقد أوصى عروة بن الزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ بنيه يوما ، فقال لهم فى وصية شاملة بليغة (٣) .

كان عروة بن الزبير يقول لبنيه :

« يا بنىّ : أنا أزهد الناس فى عالم أهله ، فهلموا إلىّ فتعلموا منى ؛ فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم ، إنى كنت صغيرا لا يُنظر إلىّ ، فلما أدركت من السن ما أدركت

---

(١) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢ ص١١٣ ، ١١٤ .

جعل الناس يسألوننى ، وما من شىء أشد على امرىء من أن يُسأل عن شىء من أمر دينه فيجهله » .

٢٧ـ وصية لعبد الله بن شداد :

أوصى أحد كبار التابعين وثقاتهم ـ وهو عبدالله بن شداد الليثى المدنى ، رحمه الله ـ ابنه وصية حكيمة ، فقال له :

« أرى داعىَ الموت لا يُقلِع ، وأرى مَن مضى لا يَرجع . لا تَزهدَنَّ فى معروف ؛ فإنَّ الدّهر ذُو صروف . وكم من راغبٍ قد كان مرغوباً إليه، وطالبٍ أصبح مطلوباً إليه. والزّمانُ ذو ألوان ، ومَن يصحبُ الزّمانَ يرى الهوان . وإن غُلبْتَ يوماً على المال فلا تُغلَبنَّ على الحيلة على حال. وكُنْ أحسَنَ ما تكون فى الظّاهر حالا ، أقلَّ ما تكون فى الباطن مالا » .

٢٨ـ وصية عتبة بن سفيان لمعلم ولده:

وقال عتبة بن سفيان لمعلم ومؤدب ولده (عبد الصمد) فى وصية هامة ، قال له (١) :

(ليكن أوّلَ ما تبدأُ به من إصلاحك بَنِىّ إصْلاحُك نَفسَك ؛ فإنَّ أعينَهم معقودة بعينك ، فالحسَنُ عِندهم ما استحسنتَ ، والقبيحُ عندهم مااستقبحت، علِّمْهم كتابَ الله ، ولا تُكرهْهم عليه فيَملُّوه ، ولا تَترُكْهم منه فيهجرُوه ، ثم روِّهم من الشِّعر أعَفَّه ، ومن الحديث أشْرَفه ، ولا تُخرِجْهم من عِلْم إلى غيره حتّى يُحْكِمُوهُ ، فإنَّ ازدحامَ الكلام فى السَّمع مَضَلَّةٌ للفهم ، وعلِّمْهم سِيَرَ الحكماء وأخلاقَ الأدباء ، وجنِّبْهم محادثَة النساء ، وتهدَّدْهم بى وأدِّبْهم دُونى، وكنْ لهم كالطَّبيب الذى لا يعْجَل بالدَّواء حتى يعرف الداء ، ولا تَتكل على عُذرى ، فإنى قد اتَّكلتُ على كفايتك ، وزد فى تأديبهم أزدك فى برّى إن شاء الله) .

٢٩ـ وصية ثمينة :

وهى وصية لأبى تمام الشاعر ، وهى وصية ثمينة جامعة شاملة ، قال (٢) :

---

(١) المرجع السابق ، ج٢ ص ٧٣، ٧٤ .

(٢) الماوردى ، أدب الدنيا والدين ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

عنـدى من الأيـام مـا لو أنـه — أضـحَى بشارب مُـزْقدٍ ماأغمَّـضا

لا تطـلبـنّ الرزق بعد شِهاسـهِ — فـتــرومَه سَـبُعـاً إذا مـا غَـيَّضـاً

ما عَـوَّض الصبر امرؤ إلا رأى — مـافـاتـه دون الـذى قـد عُوِّضـا

٣٠ ـ وصية ابن هبيرة لأبنائه :

ولقد أوصى ابن هبيرة بنيه مؤدبا إياهم ، فقال لهم [١] :

(لا تكونَنّ أوّلَ مشيرٍ ، وإيَّاك والرَّأىَ الفَطِير ، وتجنَّب ارتجالَ الكلام ، ولا تُشِـرْ على مستبِدٍّ ولا على وَغْدٍ ، ولا على متلوِّن ولا على لَجوج ، وخَفِ الله فى موافقةِ هوى المستشير ؛ فإنَّ التماسَ موافقته لؤمٌ ، وسوءَ الاستماع منه خيانة) .

٣١ ـ وصية للمهلب :

أوصى المهلب بنيه ، فقال لهم [٢] :

(يابَنِىَّ : تباذَلُوا تَـحَابُّوا ؛ فإنّ بنى الأمِّ يختلفون ، فكيف بنو العَلاّت ؟! إنَّ البِـرَّ يَنْسأ فى الأجَل ، ويزيد فى العدد ، وإن القطيعة تُورِثُ القلة ، وتُعْقِب النّار بعد الذِّلَّة . واتّقوا زَلّة اللسان ؛ فإنَّ الرّجُل تزِلُّ رجله فينتعش ، ويزِلُّ لسانُه فيهلِك . وعليكم فى الحرب بالمكيدة ؛ فإنّها أبلغ من النَّجدة ؛ فإنَّ القتالَ إذا وقَعَ وقع القضاء ، فإن ظَفِر فقد سَعِد ، وإن ظُفِر به لم يقولوا فرّط) .

٣٢ ـ وصية يزيد بن معاوية رضى الله عنه :

وأوصى الخليفة الأموى يزيد بن معاوية ـ رضى الله عنه ـ عقب توليه الخلافة وصية لسلم بن زيادة عقب توليته ولاية خراسان ، فقال له [٣] :

(إن أباك كَفَى أخاهُ عظيما ، وقد استكفَيتك صغيراً . فلا تتكلَنَّ على عُذر منّى لك ، فقد اتّكلت على كفايةٍ منك . وإيَّاك منِّى قبل أنْ أقول إيَّاى منك ؛ فإنَّ الظنَّ

---

(١) الجاحظ ، ج٢ ، ص ١٨٨ .

(٢) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٥١ .

إذا أخلفَ منّى فيك أخلفَ منك فىَّ . وأنت فى أدنى حَظِّك فاطلب أقصاه . وقد أتعَبَك أبوك ، فلا تريحنَّ نفسَك . وكنْ لنفسك تكنْ لك ، واذكرْ فى يومك أحاديثَ غَدِك ، تَسْعَد إنْ شاء الله) .

٣٣ـ وصية لأحد التابعين :

أوصى داود بن نصير الطائى العابد ـ رحمه الله ، وهو أحد التابعين من الكوفة ، وفقيه زاهد ـ رجلا طلب الوصية منه ، فقال له فى وصية إيمانية ثمينة [١] : « اجعل الدنيا كيوم صُمتَه ، واجعل فِطرَكَ الموت ؛ فكأنْ قَدْ ، والسلام » قال : زِدْنى .

قال : لا يَـرَكَ الله عند ما نهاك عنه ، ولا يَفْقِدْك عند ما أمَـرَك به . قال : زدْنى .

قال : ارضَ باليسير مع سلامة دينك ، كما رضىَ قومٌ بالكثير مع هلاك دينهم .

٣٤ـ وصية من خير الكلام فى العزاء :

وقال صاحب لأبى بكر الهذلى ـ رحمه الله ـ لرجل يعزيه عن أخيه الذى توفاه الله ويوصيه بخير الكلام ، فقال له [٢] :

« أوصيك بتقوى الله وحده ، فإنه خلقك وحده ، ويبعثك يوم القيامة وحده ، والعجب كيف يعزى ميتا عن ميت ، والسلام » .

٣٥ـ مجموعة من وصايا سيدنا لقمان عليه السلام :

وهناك العديد من الوصايا لسيدنا لقمان ـ عليه السلام ـ لابنه وهو يعظه ، نختار بعضا منها فى مقامنا هذا :

ـ قال لابنه : « يابنى ، إياك والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق » وقال له : « أربع لا ينبغى أن يأنف منهن وإن كان

---

(١) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ ، ج ٢

شريفا أو أميرا : قيامه عن محله لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه ، وخدمته للعالم » (١)

ـ وقال له أيضا : « يابنى ازحم العلماء بركبتيك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وأبق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كَلا ، وصم صوما يكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر بصلاتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ، لا تُحَابِ القريب ، ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذا الوجه البتة » (٢) وقال له فى وصية طويلة (٣) :

«يابنى : مر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، وتهاون بالمصائب ، وحاسب نفسك قبل أن تسبق إليها ، واعرف العثرة ؛ فإنك إن عرفت العثرة لم تفرط فى أمرك ، يا بنى : أكثر ذكر الله ـ عز وجل ـ فإن الله تعالى ذاكر من ذكره . يابنى : لتكن ذنوبك بين عينيك ، وعملك خلف ظهرك . يابنى : فرَّ من ذنوبك إلى الله ، ولا تستكثر عملك . يا بنى : أطع الله ، فإن من أطاع الله كفاه ما أهمّه ، وعصمه من خلقه . يابنى : لاتركن إلى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بحبّها ، فإنك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ؛ لأنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين . يابنى : لا تفرح بطول العافية ، واكتم البلوى ، فإنه من كنوز البر ، واصبر عليها ، فإن ذلك ذخر فى المعاد . يابنى : ارض باليسير ، واقنع بما رزقت . لا تمدنّ عينيك إلى رزق غيرك ، فإن ذلك يرديك . يابنى : صم وضم فمك من الطعام ، وامتلىء من الحكمة . يابنى : جالس الحكماء ، وارض بقولهم تزدد حكمة . يابنى : تكلّم بالحكمة عند أهلها ، وعليك بمجالسة أهل الذكر ، فإنها محياة للعلم ، وتحدث فى القلوب خشوعاً . يابنى : أقصد الحاجة ، ولا تنطق بما لا يعنيك ، ولا تكن مضحاكاً من غير

---

(١) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) راجع الجاحظ ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ج٢

(٣) راجع : د/ محمد عقلة (تربية الأولاد فى الإسلام) عمان ، الرسالة الحديثة ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ .

مضحك ، ولا مشَّاءً فى غير أرب . وكن ليّن الجانب ، قريب المعروف ، كثير التفكّر، قليل الكلام إلاّ فى الحق ، كثير البكاء، قليل الفرح . ولا تمازح ، ولا تصاخب ، ولا تمار ، وإذا سكتّ فاجعل صمتك فى تفكّر ، وإذا تكلّمت فتكلّم فى حكمة .
يابنى: عليك بالصمت ، فإنك تحمد عليه . فما ندمت على السكوت قط ، وربّما تكلّمت فندمت . يا بنى: لا يكن الديك أكيس منك ، إذا انقضى الليل خفق جناحيه ، وصرخ إلى الله بالتسبيح . وإياك والغفلة ، خف الله ، ولا تعلّم من نفسك، ولا تغترّ بقول الجاهل إن فى يديك لؤلؤة وأنت تعلم أنها بعرة . انتفع بما علّمك الله ؛ فإن العالم ليس كالجاهل ، وإن خير العلم مانفع ، وخير العلم ما اتُّبع . وإنّما ينفع الله بالعلم من اتبعه ، ولاينتفع به من علمه . يابنى : أعلم الناس بالله أشدهم خشية له . يابنى : تعلّم الخير وعلّمه، واعلم أن الناس بخير ما بقى الأول يعلّم الآخر ، وإنما كلام المعلّم كالينابيع يحتاجها الناس يوماً هذا ، ويوماً هذا، فينتفعون بها. وعليك بالتواضع ، فإن أحق الناس بالتواضع أعلمهم بالله ، وأحسنهم عملاً . واعلم أن من نوَّر الإيمان قلبه ، أنطق بالحق لسانه، فينتفع به ، وينفع الله به غيره . ومن أنطق الله بالحق لسانه فلم ينتفع به كان خراب دينه فى لسانه ، فإن فساد الرجل لنفسه من الكلمة الواحدة ، كما يكون من الشرارة الصغرى النار العظيمة والفساد . يابنى: إن الفاحش البذىء الشقى إن تحدّث فضحه لسانه ، وإن سكت فضحه العى ،وإن عمل أساء ، وإن فعل أضاع ، وإن استغنى بطر ، وإن افتقر قنط ، وإن فرح سُـرَّ، وإن خُوِّف أسر ، وإن قدر أفحش ،وإن قُدر عليه فهو مهين ، وإن سأل ألحف ، وإن سئل بخل ، إن ضحك نهق ، وإن بكى جأر ،وإن ذُكِّر غضب ، وإن زجر عنَّف ، وإن أعطى منَّ، وإن أُعطى لم يشكر ، وإن أسررت إليه خانك ، وإن أسرّ إليك اتهمك ، إن كان دونك هزمك ، وإن كان فوقك قهرك . وإن صحبته عَنَّاكَ ، وإن اعتزلته لم يَدَعْكَ . لا حكمة تغنيه ، ولا بحكمة غيره تنفعه . لا يستريح من الزجر ، ولا يستريح زاجره ، ولا ينقضى تعليمه ، ولا يفرغ معلمه ، ولا يسرّ به أهله ، ولا يفتر عنهم حزنه. إن كان أكبرهم عنّى من دونه، وإن كان أصغرهم عنّى من فوقه . لا يَـرْشَدُ إن أرشد ، ولا يطيع إن أمر . ولا يستفيد من عاشره ، ولا يسلم من اعتزله ، ولا يصيب إن قال ... إلى أن يقول :

يابني : تفهّم الحكمة وأخلاقها كلها ، واجعلها لك شغلاً ، وفرّغ نفسك لها ، وقرّ عيناً إذا جمعتها ، واعلم أن الحكمة لا تصلح إلاّ باللين ... وأن اللسان باب الحكمة ، فإذا ضيعت الحكمة دخل من لا يريد أن يدخل ، فإذا حفظت الباب حفظت الخزانة . . يابنى : لم تضيع مالك وتصلح مال غيرك ؟ فإن مالك ماقدّمت لنفسك ، ومال غيرك ماتركت وراء ظهرك . . يابنى : إنه من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يفعل الخير يغنم ، ومن يفعل الباطل يندم . ومن يكره الشر يعتصم ، ومن لا يملك لسانه يخسر ... يابنى: كن سهل الخلق ، طلق الوجه ، وهو رأس أخلاق الصالحين... يابنى :دع عنك كل ما يعتذر منه إلى الناس ، واقبل عذر من اعتذر إليك ، ولا تعجبن بما تعمل وإن كثر ، فإنك لا تدرى أيقبل منك أم لا ... يابنى : ما عند الله أفضل من العقل ، وما تم عقل امرىء حتى يكون فيه عشر خصال : الكبر منه مأمون ، والرشد عنده مأمول ، نصيبه من الدنيا القوت، وفضل ماله مبذول، التواضع أحب إليه من الكبر ، الذل أحب إليه من العز ، لا يسأم من طلب العفة طول عمره . ولايتبرم من طلب الحوائج قبله ، يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل الكثير من نفسه ، والخصلة العاشرة وهى التى شاد بها مجده ، وعلا قدره : يرى جميع الناس خيراً منه، وأنه شرهم . . » .

٣٦ـ وصية لطالب العلم :

وهذه وصية من الشعر العربى الفصيح لطالب العلم ، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى ـ رحمه الله تعالى ـ يقول فيها [١]:

يــا طالب العلم لا تبغى بــه بدلا	فقد ظفرْت وربِّ اللوح والقلم
وقدس العلم واعـرف قدر حرمته	فى القول والفعل ، والآدابَ فالتزم
وانهض بعــزم قــوى لا انثنـاء له	لــو يعلــم المرء قدر العلم لم ينم
والنصح فابذلــه للطـلاب محتسبا	فى السـر والجهر ، والأستاذَ فاحترم
ومرحبا قــل لمــن يأتيــك يطلبه	وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم
والنية اجعل لوجــه الله خالصــة	إن البناء بــدون الأصل لــم يقم

(١) راجع : عبد الله بن جار الله الجار الله (كلمات مختارة) مطابع النصر الحديثة بالرياض ، بدون تاريخ ، ص٢٠٣ ، ٢٠٤ .

ومن يكن ـ ليقول الناس ـ يطلبه ... أَخْسِرْ بصفقته فى موقف الندم

ومن به يبتغى الدنيا فليس له ... يوم القيامة من حظ ولا قسم

كفى بما كان فى شورى وهود وفى ... الإسراء موعظة للحاذق الفهِم

إياك واحذر مماراة السفيه به ... كذا مباهاة أهل العلم لا ترم

فإن أبغض كل الخلق أجمعهم ... إلى الإله ألد الناس فى الخصم

والعُجْبَ فاحذره إن العجب مجترف ... أعمالَ صاحبه فى سيله العرم

وبالمهم المهم ابدأ لتدركه ... وقدم النص ، والآراء فاتهم

قدم وجوبا علوم الدين إن بها ... يَبِينُ نهجُ الهدى من موجب النقم

وكل كسر الفتى فالدين جابره ... والكسر فى الدين صعب غير ملتئم

دع عنك ما قاله العصرى منتحلا ... وبالعتيق تمسك قط واعتصم

ما العلم إلا كتاب الله أو أثر ... يجلو بنور هداه كل منبهم

ما ثم علم سوى الوحى المبين وما ... منه اسْتُمِدَّ ، ألا طوبى لمغتنم

والكتم للعلم فاحذر ؛ إن كاتمه ... فى لعنة الله والأقوام كلهم

ومن عقوبته فى الخلد أن له ... من الجحيم لجاما ليس كاللُّجُمِ

وصائن العلم عمن ليس يحمله ... ماذا بكتمان بل صون فلا تلم

وإنما الكتمُ مَنْعُ العلمِ طالبَهُ ... من مستحق له فافهم ولا تهم

وأتبع العلم بالأعمال وادع إلى ... سبيل ربك بالتبيان والحكم

واصبر على لاحق من فتنة وأذى ... فيه ، وفى الرسل ذكرى فاقتده بهم

لواحد بك يهديه الإله لذا ... خير غدا لك من حمر من النعم

واسلك سواء الصراط المستقيم ولا ... تعدل وقل ربى الرحمن واستقم

ثم الصلاة على المعصوم من خطأ ... محمدٍ خير رُسْلِ الله كلهم

٣٧ـ وصية للشباب :

وهى وصية لأحد التابعين ، فى صورة أرجوزة خفيفة لطيفة ، موجهة لشباب الأمة ، للعلامة عبد الله بن حسين بن طاهر ـ رحمه الله ـ قال فيها [١] :

---

(١) المرجع السابق ، ص١٩٨ ـ ٢٠٠

أوصيكم يا معشر الإخوان عليكم بطاعة الديان
إياكم أن تهملوا أوقاتكم فتندموا يوما على مافاتكم
وإنما غنيمة الإنسان شبابه والخسر فى التوانى
ما أحسن الطاعات للشبان فاسعوا لتقوى الله يا إخوانى
واعمروا أوقاتكم بالطاعه والذكر كل لحظة وساعه
ومن تفته ساعة من عمره تكن عليه حسرة فى قبره
ومن يكن فرط فى شبابه حتى مضى عجبت من تبابه
وياسعادة امرىء قضاه فى عمل يرضى به مولاه
أحب ربى طاعة الشبان يافوزهم بجنة الرضوان
فتب إلى مولاك يا إنسان من قبل أن يفوتك الأوان
ومن يقل إنى صغير أصبر ثم أطيع الله حين أكبر
فإن ذاك غره إبليس وقلبه مغلق مطموس
لا خير فى من لم يتب صغيرا ولم يكن بعيبه بصيرا
مجانبا للإثم والعصيان مخالفا للنفس والشيطان
ملازما تلاوة القرآن مستعصما .بالذكر من نسيان
مراقبا لله فى الشئون محاذرا من سائر الفتون
مجانبا رذائل الأخلاق مجافيا كل ما عدا الخلاق
محاربا لنزعة الضلال وصولة الأهوا وسوء الحال
فإن أردت الفوز بالنجاة فاسلك سبيل الحق والهداة
يا من يروم الفوز فى الجنات بالمشتهى وسائر اللذات
انهض إلى السجدات فى الأسحار واحرص على الأوراد والأذكار
واحذر رياء الناس فى الطاعات فى سائر الأحوال والأوقات
واختر من الأصحاب كل مرشد إن القرين بالقرين يقتدى
وصحبة الأشرار داء وعمى تزيد فى القلب السقيم السقما
فإن تبعت سنة النبىء فاجتنبن قرناء السوء

واختر من الزوجات ذات الدين — وكن شجاعا فى حمى العرين
وزود الأولاد بالآداب — تحفظ قلوبهم من الأوصاب
وهذب النفوس بالقرآن — ولا تدعها نهبة الشيطان
واحرص على ما سنه الرسول — فهو الهدى والحق إذ يقول
دع عنك مايقوله الضلال — ففيه كل الخسر والوبال
وأصدق الحديث قول ربنا — وخير هدى الله عن نبينا
يا أيها الغفلان عن مولاه — انظر بأى سىء تلقاه
أما علمت الموت يأتى مسرعا — وليس للإنسان إلا ماسعى
وليس للإنسان من بعد الأجل — إلا الذى قدمه من العمل
فبادر التوبة فى إمكانها — من قبل أن تصد عن إتيانها
يا أيها المغرور ما هذا العمل — إلى متى هذا التراخى والكسل
لو يعلم الإنسان قدر موته — ماذاق طول الدهر طعم قوته
ما لى أراك لم تفد فيك العبر — ويح لهذا القلب أقسى من حجر
وَأَفْلَسُ الناس طويل الأمل — مضيع العمر كثير الخطل
نهاره يمضيه فى البطالة — وليله فى النوم بئس الحالة
ادع لنا يا سامعا وصيتى — بالعفو والصفح مع العطية
والستر فضلا منه للعيوب — والمحو فى الكتاب للذنوب
يارب جد بالفضل والإحسان — والروح والريحان والجنان
ولا تؤاخذنا على النسيان — ولا على الأخطاء والعصيان
يارب واحفظنا من الفتان — ولا تذقنا حرقة النيران
يارب وانصرنا على الأعداء — واحم الحمى من هيشة الغوغاء
ودينك احفظه مع الأمان — للأهل فى الأقطار والأوطان
والحمد لله على الختام — والشكر لله على الإنعام
ما أعظم الإنعام من مولانا — وأجزل الأفضال إذ هدانا
لنعمة الإيمان والإسلام — والاقتدا بسيد الأنام

ثم صلاة الله والسلام	ما ناح طير الأيك والحمام
على النبى المصطفى البشير	الهاشمى المجتبى النذير
وآله ما انبلج الصباح	وصحبه ما هبت الرياح

٣٨ـ نصيحة لابن تيمية :

وهذه نصيحة عن أصول العقيدة كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ قال فيها [١] :

ياسائلى عن مذهبى وعقيدتى	رزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع كلام محقق فى قوله	لا ينثنى عنه ولا يتبدل
حب الصحابة كلهم لى مذهب	ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدر وفضل ساطع	لكنما الصديق منهم أفضل
وأقول فى القرآن ما جاءت به	آياته فهو الحكيم المنزل
وجميع آيات الصفات أمرها	حقا ، كما نقل الطراز الأول
وأرد عهدتها إلى نقالها	وأصونها عن كل ما يتخيل
قبح لمن نبذ الْقُرْآنَ وراءه	وإذا استدل يقول قال الأخطل
والمؤمنون يرون حقا ربهم	وإلى السماء بغير كيف ينزل
وأقر بالميزان والحوض الذى	أرجو بأنى منه ريا أنهل
وكذا الصراط يمد فوق جهنم	فموحد ناج وآخر مهمل
والنار يصلاها الشقى بحكمه	وكذا التقى إلى الجنان سيدخل
ولكل حى عاقل فى قبره	عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعى ومالك	وأبى حنيفة ثم أحمد ينقل
فإن اتبعت سبيلهم فموفق	وإن ابتدعت فما عليك معول

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩ .

٣٩- وصية لابن القيم :

وابن القيم-رحمه الله تعالى-له وصية جامعة شاملة ، تُحدد لنا معالم الطريق، وتوضح لنا بعض جنباته ، أوردها فى كتابه روضة المحبين ، فقال فيها [(١)] :

(ماحرم الله على عباده شيئا إلا عوضهم خيرا منه ، كما حرم الاستقسام بالأزلام ، وعوضهم عنه بالاستخارة ، وحرم الربا وعوضهم عنه التجارة الرابحة ، وحرم القمار وأعاضهم عنه المسابقة النافعة ، وحرم عليهم الحرير فعوضهم عنه أنواع الملابس الفاخرة ،وحرم الزنا واللواط فأعاضهم عنهما بالنكاح بالنساء الحسان ، وحرم عليهم شرب الخمر وأعاضهم عنه الأشربة اللذيذة المتنوعة ، وحرم آلات اللهو وعوضهم عنها سماع القرآن ، وحرم عليهم الخبائث من المطاعم وغيرها وعوضهم عنها الطيبات .

فمن تلمح هذا وتأمله هان عليه ترك الهوى المردى واعتاض عنه بالنافع المجدى، وعرف حكمة الله ورحمته فى الأمر والنهى) .

٤٠-وصية عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- :

وهى وصية جامعة شاملة قال فيها [(٢)]:

(أصدقُ الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التّقوى ؛ وخير المِلل مِلّة إبراهيم ﷺ وأحسن السُّنَن سنّة محمد ﷺ وشرُّ الأمور مُحْـدَثاتها ، وخير الأمور عزائمها ؛ ماقلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى . نفسٌ تُنْجيها خيرٌ من إمارة لا تُحْصيها ؛ خيرُ الغنى غنى النّفس ، خَيْر ما أُلقِىَ فى القلب اليقين ، الخَمر جِمَاعُ الآثَام . النساء حِبَالَةُ الشّيطان. الشبابُ شُعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مِفتاح الـمَعْجَزة، من الناس من لايأتى الجماعة إلا دَبْـراً . ولا يذكر الله إلا نَـزْراً . أعظَـمُ الخطايا اللّسان الكَذوب . سباب المؤمِن فِسق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمِه معصية . من يَتَألّ على الله يُكْذِبْه ومن يَغْفِرْ يُغفَـرْ له . مكتوبٌ فى ديوان المحسنِين : مَن عفا عُفى عنه. الشقى من شَقى فى بطن أمه . السّعيد مَن وُعِظ بغيره . الأمور بعواقبها . مِلاَكُ الأمر خواتمه .

---

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(١) الجاحظ ، مرجع سابق ، ج٢ ص٦٥-٧٥ .

أحسن الهَدْى هَدْىُ الأنبياء . أقبح الضَّلالة الضَّلاَلَةُ بعدَ الهدى . أشرف الموتِ الشهادة . منَ يعرِف البلاءَ يصبرْ عليه . من لا يعرف البلاء يُنكره) .

٤١ ـ وصية عزاء ، وهى وصية للخليفة المهدى[١]:

(أما بعد : فإنّ أَحقَّ مَن عرَف حَـقَّ الله عليه فيما أخذ منه ، مَن عَظَّم حقّ الله عليه فيما أبقى له . واعلم أنَّ الماضىَ قبلك هو الباقى لك، وأنّ الباقىَ بَعْدَكَ هو المأجورُ فيك ، وأنَّ أجر الصابرين فيما يصابون به أعظَـمُ من النِّعمة عليهم فيما يُعافَـوْن منه) .

٤٢ ـ وصية المنذر لابنه النعمان :

وهذه وصية هامة ، ونقصها للعبرة والتواصى[٢]:

(إياك واطِّراحَ الإخوان ، واطِّرافَ المعرفة ، وإياك وملاحاةَ الملول ، وممازحة السفيه . وعليك بطُول الخَلوة ، والإكثارِ من السمَر . والبس من القِشْر ما يزينُك فى نفسك ومروءتك . واعلم أنّ جِماع الخير كله الحياء فعليك به ، فتواضعْ فى نفسك وانخدعْ فى مالك . واعلم أن السكوتَ عن الأمر الذى يغنيك خيرٌ من الكلام ، فإذا اضطُرِرتَ إليه فتحر الصدقَ والإيجاز ، تسلم إن شاء الله تعالى) .

٤٣ ـ وصية عن اللسان :

وهذه وصية من أحد العلماء البلغاء عن اللسان ، قال[٣] :

(اللسان أداة يظهر بها حُسن البيان ، وظاهر يخبر عن ضمير ، وشاهدٌ ينبئك عن غائب ، وحاكمٌ يفصَل به الخطاب وناطق يُرَد به الجواب ، وشافع تُدرك به الحاجة ، وواصف تُعرف به الحقائق ، ومُعَز يُنفى به الحزن ، ومؤنس تذهب به الْوَحْشَةُ ، وواعظٌ يَنهَى عن القبيح ، ومزين يدعو إلى الحَسَن ، وزارع يحرث المودة ، وحاصدٌ يستأصل الضغينة ، ومُلهٍ يُونق الأسماع) .

---

(١) رواها محمد بن حرب الهلالى ، وقالها إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى، راجع المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٤ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج٤ ص ٧٣

(٣) المرجع السابق ، ج٢ ص ٧٥ .

٤٤ ـ وصية للإمام مالك ـ رحمه الله ـ:

« من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب »[١] .

٤٥ ـ وصيه للإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ[٢]:

قال ـ رحمه الله ـ في وصية شاملة عن مشيئة الله :

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففي العلم يجري الفتى والمُسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ومنهم حسن

٤٦ ـ وصية لعلي بن الحسين :

« يا بني اصبر على النائبة ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تجب أخاك إلى شيء مضرته عليك أعظم من منفعته له »[٣].

٤٧ ـ وصية لعبدالله بن مسعود[٤]:

(ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنى أنه كان يأكل في الدنيا قوتاً، وما يضر أحدكم على ما أصبح وأمسى من الدنيا إلا أن تكون في النفس حزازة ، ولأن يعض أحدكم على جمرة حتى تطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه الله : ليت هذا لم يكن !) .

٤٨ ـ مجموعة من الوصايا المتفرقة[٥]:

أ ـ وعن الحسن قال : جاء قيس بن عاصم إلى النبي ﷺ فلما رآه قال : هذا سيِّد

---

(١) د . محمد بن عبد الرحمن الخميس ، اعتقاد الأئمة الأربعة ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤١٢ هـ ، ص ٤٦ ، رواه الهروي عن إسحاق بن عيسى .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ رواه البيهقي .

(٣) الجاحظ ، مرجع سابق . ج٢ ، ص ٧٦ .

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٥٠١ ج ٢

(٥) المرجع السابق ج٢ ص ٣٣ ، ٣٤ .

أهلِ الوبر . فقال : يا رسول الله ، خبِّرنى عن المال الذى لا تكون على فيه تَبِعة من ضيف ضافنى ، أو عيالٍ كثُروا علىَّ . قال : « نِعم المال الأربعون ، والأكثر الستون، وويلٌ لأصحاب المئِين إلا مَن أعطى فى رِسْلِها ونَجْدتها ، وأطرَقَ فَحْلها ، وأفْقَرَ ظَهرَها ، ونَحَر سمينَها ، وأطعم القانع والمُعْتر » . قال : يا رسول الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ وأحسنها ، وما يحُلُّ بالوادى الذى أكونُ فيه أكثَر من إبلى . قال: فكيف تصنع بالطَّروقة ؟ قال : تغدو الإبل ويغدو الناس ، فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به . قال : فكيف تصنعُ بالمنيحة ؟ قال : إنِّى لأمنَحُ فى كل سنةٍ مائة . قال : فأى المالِ أحب إليك أمالك أم مالُ مولاك ؟ قال : بل مالى . قال : « فما لَكَ من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت ، أو لبستَ فأبْليتَ ، أو أعطَيْتَ فأمضيت . وما سِوى ذلك للوارث » .

ب ـ [1] وذكر أبو المقدام هشام بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظى قال : «دخلتُ على عمرَ بنِ عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه ، فجعلت أحِدُّ النَّظَرَ إليه ، فقال لى : يا بن كعب ، مالَكَ تُحِد النَّظَر إلى ؟ قلت : لِمَا نَحَلَ مِن جسمك ، وتغيَّر مِن لونك . قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثالثة فى قبرى ، وقد سالَتْ حدَقتاىَ على وَجنتى ، وابْتَدَر فمى وأنفِى صديدا ودُودا ؛ كنتَ والله أشدَّ نكَرَة لى . أعِدْ عَلىَّ حديثاً كنتَ حدَّثتنيه عن عبدالله بن عباس ، قال : سمعتُ ابنَ عبَّاس يقول : كان رسول الله ﷺ يقول : « إن لكلِّ شىء شرفاً ، وإنَّ أشرفَ المجالس ما استُقْبل به القبلة ، ومَن أحبَّ أن يكون أعزَّ الناس فليتَّق الله ، ومن أحب أن يكونَ أقوى الناس فليتوكل على الله . ومن أحبَّ أن يكونَ أغنى الناس فليكُنْ بما فى يَدَيِ الله أوثَقَ منه بما فى يديه » ؛ ثم قال: « ألا أنبِّئكم بِشرار الناس ؟ » قالوا : بَلَى يا رسول الله . قال : « مَن نزل وَحْدَه ، ومنع رِفْدَه ، وَجَلَدَ عبده » . ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « مَن لا يُقيل عَثْرة ، ولا يَقبل مَعذِرة ، ولا يَغْفِر ذَنباً » . ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « مَن يبغض الناسَ ويَبغضونه . إنَّ عيسى بنَ مريمَ ـ عليه السلامُ ـ قام خطيباً فى بنى إسرائيلَ فقال : يا بنى إسرائيل ، لا تكلَّموا بالحكمة عند الجُهّال فتظلِموها ، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم ، ولا تظلموا ولا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

تكافئوا ظالماً فيبطُل فضلُكم . يا بنى إسرائيل : الأمور ثلاثة : أمرٌ تبَيّنَ رُشْدُه فاتبعوه ، وأمرٌ تبين غيه فاجتنبوه ، وأمرٌ اخْتُلِف فيه فإلى الله فردوه » .

ج ـ [1] وقال رجل لابن عَياش ـ رحمه الله ـ : أيُّما أحب إليك : رجلٌ قليل الذنوب قليل العمل ، أو رجلٌ كثير الذنوب كثير العمل ؟ فقال : ما أعدلُ بالسَّلامة شيئاً .

د ـ [2] عبدالله المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجرَّاح بن عبدالله الحكَمى :

« إن استطعت أن تدَعَ مما أحلَّ الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرَّم الله عليك فافعلْ ، فإنه من استوعب الحلالَ كلَّه تاقت نفسه إلى الحرام » .

هـ ـ [3] قال : قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا فى الحرب ، ولا تعرفُ أخاك إلا عند الحاجة إليه .

و ـ [4] وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : « مَن طال أمَدُه ، وكثُر ولَدُه ، وقَلّ عددُه، وذهب جلَده ، ذهب شبابه » .

وقال زياد : لا يُعدِمنَّك من الجاهل كثرة الالتفات ، وسرعَة الجواب .

وقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم : لولا ثلاثٌ ما باليت متى متّ : تزاحُفُ الأحرار إلى طعامى ، وبذلُ الأشرافِ وجوهَهُم إلىّ فى أمر أجد السبيل إليه ، وقولُ المنادى : الصلاة أيُّها الأمير .

وقال ابن الأشعث : لولا أربعُ خصالٍ ما أعطيتُ بشَرِيًا طاعة : لو ماتت أم عِمران ـ يعنى أمّه ـ ولو شاب رأسى ، ولو قرأت القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيراً .

---

(1) الجاحظ المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٩٤ .

(2) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٧٠ .

(3) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٦ .

(4) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١١٤

ز ـ[1] وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم ، وذهب قوم إلى أن سوء الظن بها أبلغ فى صلاحها ، وأوفر فى اجتهادها ، لأن للنفس جَوْرا لا ينفك إلا بالسخط عليها ، وغرورا لا ينكشف إلا بالتهمة لها ، لأنها محبوبة تجور إدلالا ، وتفر مكرا ، فإن لم يسىء الظن بها ، غلب عليه جَوْرها ، وتموه عليه غرورها ، فصار بميسورها قانعا ، وبالشبهة من أفعالها راضيا . وقد قالت الحكماء : من رضى عن نفسه أسخط عليه الناس . وقال كشاجم :

لم أرضَ عن نفسى مخافة سخطها — ورضا الفتى عن نفسه إغضابُها

ولَوَ اننى عنها رضيت لقصرت — عما تزيد بمثله آدابُها

وتَبَيَّنَتْ آثارَ ذاك فأكثرتْ — عذْلى عليه فطال فيه عِتابُها

وقد استُحْسن قول أبى تمام الطائى :

ويسىء بالإحسان ظنا لا كمنْ — هو بابنه وبشعره مَفْتون

كانت تلك مجموعة مختارة من الوصايا الهامة الشاملة لأئمة رجال الفكر الإسلامى ، فى عصور مختلفة . بدءا من عصر الصحابة ، ذكرناها كوصايا إسلامية ، لو اتبعناها لوصلنا إلى مرحلة متقدمة من الإيمان والسلام . . .

* * *

(١) أدب الدنيا والدين للماوردى ، ص ٢٣٠

سادسا :
وصايا بعض الدعاة المعاصرين

وفى هذا المقام يقدم لنا بعض رجال العلم الإسلامى ، وبعض الدعاة إلى سبيل الله ـ عز وجل ـ وصايا فريدة من أجل سعادتنا فى الدنيا والآخرة، وهذه الوصايا الجامعة الشاملة سيكون لها الأثر الطيب فى حياتنا وفى سعادتنا إذا اتبعناها ، بمشيئة الله عز وجل ، وهذه الوصايا لعلماء أفاضل خصصوا كل وقتهم وجهدهم لنصرة دين الله ـ عز وجل ـ وهاهم يؤدون واجب الوصية تجاه المسلمين ، وسنختار بعض نماذج من وصايا الصالحين :

١ـ وصية فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز لكافة المسلمين :

والشيخ عبد العزيز بن باز ـ أكرمه الله ـ من العلماء الأجلاء الذين لا يخشون فى الحق لومة لائم ، وهو الرئيس العام لإدارات البحوث والفتوى والإفتاء ، وهو رئيس المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى ، وقد كرس حياته كلها لخدمة ونصرة الإسلام ، جزاه الله خيرا ، ومن وصاياه لكافة المسلمين : (١)

(مما لا شك فيه لذى عقل سليم أن الأمم لابد لها من موجه يوجهها ويدلها على طريق السداد ، وأمة الإسلام هى أخص الأمم بالقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والواجب يحتم على كل مسلم بقدر استطاعته وعلى حسب مقدرته أن يشمر عن ساعد الجد فى النصح والتوجيه ؛ حتى تبرأ ذمته ويهتدى به غيره ، قال تعالى :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الذاريات ، الآية ٥٥]

---

(١) راجع هذ الوصية وعدة وصايا أخرى : عبد العزيز بن عبد الله بن باز (فتاوى وتنبيهات ونصائح) القاهرة ، مكتبة السنة . ط ٢ عام ١٤٠٩ هـ .

ولا ريب أن كل مؤمن - بل كل إنسان - فى حاجة شديدة إلى التذكير بحق الله وحق عباده ، والترغيب فى أداء ذلك ، وفى حاجة شديدة إلى التواصى بالحق والصبر عليه ، وقد أخبر الله - سبحانه - فى كتابه المبين عن صفة الرابحين وأعمالهم الحميدة ، وعن صفة الخاسرين وأخلاقهم الذميمة ، وذلك فى آيات كثيرات من القرآن الكريم ، وأجمعها ما ذكره الله - سبحانه - فى سورة العصر ، حيث قال :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر ١ - ٣) .

فأرشد عباده - عز وجل - فى هذه السورة القصيرة العظيمة إلى أن أسباب الربح تنحصر فى أربع صفات :

الأولى : الإيمان . والثانية : العمل الصالح . والثالثة : التواصى بالحق . والرابعة : التواصى بالصبر .

فمن كمل هذه المقامات الأربعة فاز بأعظم الربح ، واستحق من ربه الكرامة والفوز بالنعيم المقيم يوم القيامة ، ومن حاد عن هذه الصفات ولم يتخلق بها باء بأعظم الخسران، وصار إلى الجحيم دار الهوان ، وقد شرح الله - سبحانه - فى كتابه الكريم صفات الرابحين ونوعها وكررها فى مواضع كثيرة من كتابه ؛ ليعرفها طالب النجاة فيتخلق بها ويدعو إليها ، وشرح صفات الخاسرين فى آيات كثيرة ليعرفها المؤمن ويبتعد عنها ، ومن تدبر كتاب الله وأكثر من تلاوته عرف صفات الرابحين وصفات الخاسرين على التفصيل ، كما قال - سبحانه - ذلك فى آيات كثيرة منها ما تقدم ، ومنها قوله - جل وعلا - :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ٩)

وقال تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(سورة ص ، الآية ٢٩)

وقال تعالى :

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(سورة الأنعام ، الآية ١٥٥)

وصح عن النبى ﷺ أنه قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

وقال ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع على رءوس من الأشهاد يوم عرفة :

« إنى تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ، كتاب الله » ، فبين الله سبحانه فى هذه الآيات أنه أنزل القرآن ليتدبره العباد ويتذكروا به ويتبعوه ويهتدوا به إلى أسباب السعادة والعزة والنجاة فى الدنيا والآخرة ، وأرشد الرسول ﷺ الأمة إلى تعلمه وتعليمه ، وبين أن خير الناس هم أهل القرآن الذين يتعلمون القرآن ويعلمونه غيرهم بالعمل به واتباعه والوقوف عند حدوده والحكم به والتحاكم إليه ، وأوضح ـ عليه الصلاة والسلام ـ للناس فى المجمع العظيم يوم عرفة أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين بكتاب الله سائرين على تعاليمه ، ولما سار السلف الصالح والصدر الأول من هذه الأمة على تعاليم القرآن وسيرة الرسول ﷺ أعزهم الله ، ورفعَ شأنهم ، ومكن لهم فى الأرض تحقيقاً لما وعدهم الله به فى قوله ـ سبحانه ـ :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾

(سورة النور ، الآية ٥٥)

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(سورة محمد ، الآية ٧)

وقال تعالى :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۞ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ

﴿ ... فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (سورة الحج ، الآيتان : ٤٠ ، ٤١)

فيا معشر المسلمين : تدبروا كتاب ربكم ، وأكثروا من تلاوته ، وامتثلوا ما فيه من الأوامر ، واجتنبوا ما فيه من النواهى ، واعرفوا الأخلاق والأعمال التى مدحها القرآن ، فسارعوا إليها وتخلقوا بها ، واعرفوا الأخلاق والأعمال التى ذمها القرآن وتوعد بها فاحذروها وابتعدوا عنها ، وتواصوا فيما بينكم بذلك وأصروا عليه حتى تلقوا ربكم ، وبذلك تستحقون الكرامة وتفوزون بالنجاة والسعادة والعزة فى الدنيا والآخرة .

ومن أهم الواجبات على المسلمين العناية بسنة الرسول ﷺ والتفقه فيها والسير على ضوئها لأنها الوحى الثانى ، وهى المفسرة لكتاب الله ، والمرشدة إلى ما قد يخفى من معانيه ، كما قال الله ـ سبحانه ـ فى كتابه الكريم :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة النحل ، الآية ٤٤)

وقال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل ، الآية ٨٩)

وقال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٢١)

وقال تعالى :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الحشر ، الآية ٧)

وقال تعالى :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(سورة النور ، الآية ٦٣)

والآيات الدالة على وجوب اتباع الرسول ﷺ وتعظيم سنته والتمسك بها والتحذير من مخالفتها أو التهاون بها كثيرة جداً يعلمها من تدبر القرآن الكريم ، وتفقه فيما جاء عن الرسول ﷺ من الأحاديث الصحيحة ، ولاصلاح للعباد ولا سعادة ولا عزة ولا كرامة ولا نجاة فى الدنيا والآخرة إلا باتباع القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وتعظيمهما ، والتواصى بهما فى جميع الأحوال ، والصبر على ذلك ، كما قال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

(سورة الأنفال ، الآية ٢٤)

وقال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة النحل ، الآية ٩٧)

وقال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة المنافقون ، الآية ٨)

فأرشد الله سبحانه العباد فى هذه الآيات الكريمات إلى أن الحياة الطيبة والراحة والطمأنينة والعزة الكاملة إنما تحصل لمن استجاب لله ولرسوله واستقام على ذلك قولا وعملا ، وأما من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ واشتغل عنهما بغيرهما فإنه لا يزال فى العذاب والشقاء والهموم والغموم والمعيشة الضنك ، وإن ملك الدنيا بأسرها ، ثم ينتقل إلى ما هو أشد وأفظع وهو عذاب النار ـ عياذاً بالله من

ذلك ـ كما قال تعالى :

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ۞ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾

(سورة التوبة ، الآيتان : ٥٤ ، ٥٥)

وقال تعالى :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾

(سورة طه ، الآيتان : ١٢٣ ، ١٢٤)

وقال عز من قائل :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة السجدة ، الآية ٢١)

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾

(سورة الانفطار ، الآيتان ١٣ ، ١٤)

قال بعض المفسرين : إن هذه الآية تعم أحوال الأبرار والفجار فى الدنيا والآخرة ، فالمؤمن فى نعيم فى دنياه وقبره وآخرته ، وإن أصابه فى الدنيا ما أصابه من أنواع المصائب كالفقر والمرض ونحوهما ، والفاجر فى جحيم فى دنياه وقبره وآخرته ، وإن أدرك ما أدرك من نعيم الدنيا ، وما ذاك إلا لأن النعيم فى الحقيقة هو نعيم القلب وراحته وطمأنينته ، فالمؤمن بإيمانه بالله واعتماده عليه واستغنائه به وقيامه بحقه وتصديقه بوعده : مطمئن القلب ، منشرح الصدر ، مرتاح الضمير .

والفاجر ـ لمرض قلبه وجهله وشكه وإعراضه عن الله وتشعب قلبه فى مطالب الدنيا

وشهواتها ـ فى عذاب وقلق وتعب دائم، ولكن سكرة الهوى والشهوات تعمى القلوب عن التفكير فى ذلك والإحساس به ، فيا معشر المسلمين : انتبهوا لما خلقتم له من عبادة الله وطاعته ، وتفقهوا فى ذلك واستقيموا عليه حتى تلقوا ربكم ـ عز وجل ـ فتفوزوا بالنعيم المقيم، وتسلموا من عذاب الجحيم .

وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾

(سورة فصلت ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢)

وقال عز وجل :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة الأحقاف ، الآيتان : ١٣ ، ١٤)

والله المسئول أن يجعلنا وإياكم منهم ، وأن يعيذنا جميعاً من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ إنه على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

٢ ـ الوصية الشرعية :

وهى من الوصايا الفريدة للأستاذ محمد بن جميل زينو ، وهى من الوصايا الهامة لكل مسلم ، بل هى أهم وصية على الإطلاق ، وهى وصية شرعية ، أى أنها لازمة للحياة وللمهات والآخرة ، ويجب على كل مسلم معرفتها ، والعمل بها حتى يؤجر عند الله ، ويكون قد اتبع تعاليم الإسلام .

إن الوصية الشرعية هى بمثابة إبراء الذمة للورثة ، فهى تجدد مختلف جوانب التركة

كما تحدد الثلث الذى تجوز به الوصية ، كما تُحدد ما يبرىء ذمته أمام الله تعالى ، ويجب أن يضعها المسلم تحت وسادته عند النوم .

وهذه الوصية الشرعية تقول [1] :

الوصية الشرعية لكل مسلم

قال ﷺ : « ما حَق امرىء مسلم يَبيتُ لَيلَتين وله شىء يُريد أن يُوصى فيه ، إلا ووصيتُه مكتوبةٌ عند رأسه » .

[متفق عليه]

قال ابن عمر : ما مرت علىَّ ليلة منذ سمعتُ رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندى وصيتى :

١ ـ أوصى بمبلغ (   ) يُنفق على الأقارب والجيران الفقراء والكتب الإسلامية ، (لا تزيد على الثلث ، ولا تكون لوارث) .

٢ ـ أن يحضرنى فى أثناء مرض الموت بعض الصالحين ؛ ليذكرونى بحسن الظن بالله .

٣ ـ تلقينى كلمة التوحيد قبل الموت لا بعده ، لقوله ﷺ :

« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » [رواه مسلم] .

وقوله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »

[حسن ، رواه الحاكم].

٤ ـ أن يدعو لى الحاضرون بعد الموت : اللهم اغفر له ، وارفع درجته وارحمه . . وهكذا من الدعوات المباركات الواردة .

٥ ـ إرسال أشخاص ليخبروا الأقارب وغيرهم بالوفاة ولو هاتفيًا ، ولإمام المسجد أن يخبر المصلين ؛ ليستغفروا للميت .

---

(١) راجع محمد بن جميل زينو (مجموعة رسائل) مرجع سابق ، ص ٥١ ـ ٥٣ .

٦ ـ الإسراع بوفاء الدين لقوله ﷺ : « نفسُ المؤمن مُعلَّقة بدَيْنِه حتى يُقضى عنه » .

[صحيح ، رواه أحمد]

وعلى المسلم العاقل أن يوفى دينه فى حياته خوفاً من الضياع والإهمال .

٧ ـ السكوت حال سير الجنازة ، وإكثار عدد المصلين وإخلاص الدعاء للميت .

٨ ـ الدعاء بالمغفرة بعد الدفن ، كان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال :

« استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » .

[صحيح ، رواه الحاكم] .

٩ ـ التعزية للمصاب بما ورد عنه ﷺ : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب » .

[رواه البخارى]

وليس لها وقت ومكان محدد ، ويقول المصاب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى ، واخلف لى خيراً منها .

ويجب على أقارب الميت الصبر والرضا بقدر الله .

١٠ ـ على الأقارب والجيران والأصدقاء تهيئة الطعام لأهل الميت لقوله ﷺ :

« اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم » .

[حسن . رواه أبو داود ، والترمذى] .

الأمور الممنوعة شرعاً

١ ـ تخصيص أحد الورثة بشىء من المال لقوله ﷺ : « لا وصية لوارث» .

[رواه الدارقطنى ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع] .

٢ ـ رفع الصوت بالبكاء ، والنياحة ، ولطم الخدود ، وشق الثياب ، ولبس السواد ، لقوله ﷺ : « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه » .

(إذا أوصاهم)

[رواه البخارى ومسلم] .

٣ ـ الإعلان فى المآذن والأوراق ، أو تقديم الأكاليل لأنها من البدع ، وفيها ضياع للمال وتشبه بغير المسلمين .

وفى الحديث الصحيح : « من تشبه بقوم فهو منهم »

[صحيح : رواه أبو داود] .

٤ ـ حضور المشايخ لقراءة القرآن فى البيت لقوله ﷺ : « اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » .

[صحيح : رواه أحمد]

(تستكثروا به من متاع الدنيا)

ويحرم على المعطى والآخذ ، ولو أعطينا المبلغ للفقراء لوصل ثوابه للميت وانتفع به .

٥ ـ يكره الطعام والاجتماع للتعزية فى البيت والمسجد وغيره ؛ لقول جرير ـ رضى الله عنه ـ : « كنا نرى الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه لغيرهم من النياحة » (أى المحرمة) .

[صحيح : رواه أحمد]

نص على كراهة الاجتماع الإمام الشافعى والنووى فى كتابه الأذكار (باب التعزية) ونص ابن عابدين الحنفى على كراهة الضيافة من أهل الميت ؛ لأنها شرعت فى السرور لا فى الشرور ، وفى البزازية (حنفى) : ويكره اتخاذ الطعام فى اليوم الأول والثالث ، وبعد الأسبوع، ونقل الطعام إلى القبر فى الموسم ، واتخاذ الدعوة لقراءة القرآن ، وجمع الصلحاء والقراء للختم .

٦ ـ يحرم وضع الأحجار العالية وفرشة الحجر وغيرها على القبر ، وكذلك تدهينه والكتابة عليه : « نهى ﷺ أن يجصص القبر ، وأن يُبنى عليه» [رواه مسلم]

وفى رواية : « نهى أن يُكتب على القبر شىء »

[رواه الترمذى ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى]

شاهد أول . شاهد ثان . اسم المنفذ للوصية . اسم الموصى أى (الميت) .

٣ـ وصايا عامة للمسلمين أثناء الحرب وللمحافظة على الأمن :

وهذه جملة من الوصايا الجامعة ، انطلاقا من الكتاب والسنه النبوية للمسلمين فى الحرب ،وكذلك للمحافظة على الأمن الداخلى فى الدول الإسلامية ، وهذه الوصايا هى(١) :

أ ـ وصايا عامة أثناء الحَرب :

وعند اندلاع الحرب تتجلى لنا ناحية رائعة فى تعاليم الإسلام التى يفرضها على أتباعه ، والتى هى عماد النصر للشعوب الآخذة به ، قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٥ ، ٤٦] .

اشتملت هاتان الآيتان على خمس وصايا وهى :

أولاً : الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة ، والنظام الحربى المعاصر يقضى بقتل الجندى الفار من القتال حال فراره ، وذلك خشية أن تنتقل عدوى فراره إلى غيره فتحدث البلبلة والجزع فى صفوف المقاتلين ، فيكون داعياً لهم على الهزيمة .

ثانياً : ذكر الله فى الحرب ، لما له من تأثير فعال فى النصر ؛ لأن الإيمان يمد المحارب بقوة معنوية هائلة تسند القوة المادية فتدعمها ويكون لها الحكم الفصل فى المعركة .

ثالثاً : الطاعة ، طاعة الله أولاً ، وذلك باتباع ما أمر به من الوصايا التى تنهض بحال المسلمين ، وعدم معصيته ، وطاعة الرسول فيما أمر به من شئون القتال ، فقد كان الرسول هو قائدهم فى أغلب المعارك التى خاضوها ضد الكفار ، وبعد وفاته أوجب عليهم طاعة قوادهم فى القتال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

---

(١) راجع : عفيف عبدالفتاح طبارة (روح الدين الإسلامى) مرجع سابق، ص ٤٠١ ، ٤٠٢، وص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩]

فطاعة القائد العام هى عماد النظام الذى هو ركن من أركان النصر .

رابعاً : عدم التنازع ، فالنزاع فى حال الحرب مدعاة للفشل وتغلب الأعداء على الفئة المتنازعة .

خامساً : الصبر على الشدة ، وما يلاقون من بأس العدو وكثرة عدده ، فإن الله مع الصابرين بالمعونة والتأييد . والصبر فى الحرب من أعظم أسباب النصر .

ومن الوصايا التى وردت عن الرسول ﷺ : « الحرب خدعة » ففى هذه الوصية تحريضٌ على أخذ الحذر فى الحرب ، والندب إلى خداع الكفار . واليوم يعد هذا فنّا من فنون الحرب يدرس فى الكليات الحربية ، وأكبر معين للحصول على النصر .

ب ـ وصايا عامة للمحافظة على الأمن :

وفى القرآن والحديث وصايا عامة تتعلق بالمحافظة على الأمن ، من ذلك : ما ورد فى القرآن بوجوب أداء الشهادة بالحق وعدم كتمانها ؛ لأن أكثر الجرائم يتوقف ثبوتها على وجود شهود لها ، ولذلك جاء فى القرآن : ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٨٣] .

كما أن شهادة الزور جعلتها الشريعة من أكبر كبائر المحرمات ، وقرنتها بالإشراك بالله ؛ عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح ، فلما انصرف قائماً قال : « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، ثم قرأ تعالى : ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۞ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾

[الحج : ٣٠ ، ٣١] .

وسنسرد بعض وصايا النبى ﷺ فى المحافظة على الأمن والتى لها تعلق بالعقوبات التى ذكرناها : « لو يعطى للناس بدعواهم لادَّعى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر » . « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله

وعرضه » . « كل أحد أحق بماله من ولده ووالده والناس أجمعين » . « لا ضرر ولا ضرار» . « رفع عن أُمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

٤ ـ وصية لشباب الإسلام :

وهذه وصية كتبها الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله فى كتابه (كلمات مختارة : عقائد ، أحكام ، مواعظ) ننشر بعضها للاستفادة والاستزادة وتعميم النفع والفائدة[١]:

« فيا شباب الإسلام ، ويا أمة القرآن ، ويا أتباع محمد ﷺ ويا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، ويا حماة الدين والعقيدة ، ويا أحفاد المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : عليكم بتحقيق هذه الأمور لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة ، واغتنموا فرصة الشباب والصحة والحياة قبل زوالها فيما يسعدكم : فى دراسة القرآن الكريم ودراسة تفسيره وتدبره والعمل به ليكون حجة لكم عند ربكم ، فالقرآن حجة لك أو عليك ، وفى دراسة الحديث الشريف والسيرة النبوية، فلنا فيهما عظة وعبرة ، ولنا فيهما أسوة حسنة وفى الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ عن علم وبصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [سورة يوسف ، الآية ١٠٨] فالشباب والصحة والحياة فرصة ثمينة تمر بسرعة ، فإن شغلت بخير وإلا شغلت بشر ولابد ؛ والأوقات محدودة والأنفاس معدودة ، وسوف تسأل عن أوقاتك فى أى شىء قضيتها ، فإن قضيتها فى طاعة كانت لك مكسبا وإن قضيتها فى معصية كانت عليك وبالا وخسرانا ، وإن قضيتها فى غفلة تحسرت عليها فى قبرك ويوم حشرك ، وقد قيل : الوقت كالسيف إن قطعته فيما ينفعك وإلا قطعك فيما يضرك ، وفى الحديث : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل مرضك ، وحياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك »

« رواه الحاكم والبيهقى »

(١) عبدالله الجار الله ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥ـ٢٠٨ .

وقال ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » « رواه البخارى » ، يعنى أنهم مقصرون فى شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

أخى المسلم : إن مهمتك فى هذه الحياة أن تتعلم العلم النافع الشرعى ، قال ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » « رواه البخارى ومسلم » ، ثم تعمل به وتدعو إليه وتصبر على ذلك ، وأن تخلص لله فى علمك وعملك ودعوتك وفى حبك وبغضك وفعلك وتركك ، فإن تكلمت فلله ، وإن سكت فلله ، وإن نظرت أو سمعت فلله ، وإن مشيت فلله ، وإن أحببت أو أبغضت فلله ، وإن واليت أو عاديت فلله .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ـ

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الآيتان ١٦٢ ـ ١٦٣ الأنعام] ، اللهم وفقنا وجميع إخواننا المسلمين لما تحب وترضى إنك على كل شىء قدير .

٥ ـ نصيحة ووصية عامة :

كتبها الشيخ صالح الخريص ، وقال فيها[١] :

(الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وبعد : فاعلموا ـ وفقنى الله وإياكم لسلوك صراطه المستقيم ، وجنبنى وإياكم طرق أصحاب الجحيم ـ أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أوجب طاعته وطاعة رسوله على كل أحد ، وفى كل زمان ومكان، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، قال الله ـ عز وجل ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الآيتان : ٢٠ ، ٢١ من سورة الأنفال] فألقوا السمع نحو هذا الخطاب العظيم والناموس الأكبر ، ولا تكونوا ممن قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ؛ فإنهم شر مَنْ خلق الله وذرأ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ

(١) المرجع السابق ، ص١٠٧ ـ ١١١ .

ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾

[الآية ٧ سورة الحشر] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

[آل عمران : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[الآية ٦٣ سورة النور] .

فأمر تعالى بهذه الآيات الكريمات بطاعته وطاعة رسوله ، ورتب على ذلك السعادة والفلاح فى الدارين ، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، ورتب على ذلك من العقوبات الدنيوية ما لا يعد ولا يحصى ، ولا يحد ولا يستقصى ، ولهذا ختم الآيتين الأوليين بذكر شدة عقابه لمن عصاه وعصى رسوله ، وختم الآيتين اللتين بعدهما بالوعيد لمن تولى عن طاعته وطاعة رسوله بالبعد والفتنة والعذاب الأليم .

فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم ترحمون ، وقوموا لله مثنى وفرادى بقوة وثبات، وليأخذ بعضكم على يد بعض حتى يرجع الأمر إلى نصابه ، ويكون على السداد والصواب لتفوزوا غدا بثوابه ، وتأمنوا من نقمته وعقابه ، وعلى سامع هذه الكلمة أن يلقى إليها السمع وهو شهيد، وينظر بطرفه إلى الواقع حتى يتبين له أن ما قلته ليس فيه مجازفة ولا خروج عن الحالة التى نحن عليها ، وأن الهدف والمطلوب هو إصلاح حالتنا الراهنة ومعالجتها ما دام العلاج يفيد ، قبل أن يحال بيننا وبين ما نحاول ونريد ، والله المسئول المرجو الإجابة أن يصلح أئمتنا وعلماءنا وقضاتنا ، وأن يجعلهم لأهل الخير أئمة وقادة ، وأن يجعل لهم العمل بذلك سجية وعادة ، وأن ينصر دينه ويعلى كلمته ويحفظ إمام المسلمين وولى عهده ، وأن يجعلهما من أئمة الدين وخلفاء سيد المرسلين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين) .

***

الفصل الثالث

وصية إسلامية خالدة :

اتقوا الله ـ عز وجل ـ واحذروا غضبه وانتقامه

وصية إسلامية خالدة
اتقوا الله
واحذروا غضب الله وانتقامه عز وجل

بقلم :
الفقير إلى الله
د / إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

استهلال

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين النبى البشير النذير سيدنا محمد ﷺ وبعد . . .

فإن هذه الوصية خالصة لله تعالى ، قالها كل المسلمين المؤمنين الصادقين ، بدءاً من الرسول الأمين ، وحتى العبد الفقير ، وهى وصية وتذكرة ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، يقول الله ـ عز وجل ـ فى محكم آيات الذكر الحكيم :

﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [1] .

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

والعالم حولنا يموج بصور من انتقام الله ـ عز وجل ـ وغضبه على انتهاك محارمه ، وسخطه على البُعد عن صراطه المستقيم ، وعذابه الدنيوى لمن لم يخف الوعيد ، إنها آيات يعج بها عالم اليوم ، ولقد ذكرنا القرآن الكريم بهذه الآيات فلم نعتبر ، فلقد قال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ [3]

ويقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾ [4] .

---

(١) الآية ٤٥ من سورة (ق) .

(٢) الآية ٥٥ من سورة الذاريات

(٣) الآية ٥٧ من سورة الكهف .

(٤) الآية ٢٢ من سورة السجدة .

وجاءت آيات انتقام الله ـ عز وجل ـ فى العديد من المواضع فى القرآن الكريم ، حين يضرب الله الأمثال للناس ، وحين يقص الله للإنسان أحسن القصص ، وحين يحكى لنا القرآن الكريم أنباء الأولين والآخرين، وحين يقدم لنا الله آياته فى خلقه وفى حياتهم وفى عذابهم فى الدنيا والآخرة .

وها نحن نرى حولنا انتقام الله ـ عز وجل ـ وغضبه وسخطه على كل من عصى أمر ربه ، وعلى كل من انحرف عن الطريق القويم ، وعلى كل من تغاضى عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى كل من أحل ما حرم الله ، وعلى كل من حرم ما حلل الله ، وعلى كل من نسى آيات الله ونسى شكر الله على نعمه التى لا تحصى ولا تُعد . . .

فنجد الزلازل تارة ، والطوفان تارة أخرى ، والاضطرابات السياسية والاجتماعية تارة ثالثة . . وفى الجانب الآخر نجد المجاعات تنتشر فى أماكن كثيرة ، ونجد (الانتفاضات) الداخلية والهيجانات المحلية والتدمير ، ونجد الجفاف ينتشر وطوفان الجراد والحشرات والذباب والبعوض تنتشر فى أنحاء متفرقة من عالمنا المعاصر ، ناهيك عن الأمراض الفتاكة التى تصيب المنحرفين من سرطان وإيدز وسُل ودرن وما شابه ذلك . . ومعها آلاف الآلاف من الآيات فهل نعتبر ؟؟؟!!! .

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يُبعد عنا غضبه ، ويبعدنا عن أماكن غضبه، وأن يبارك لنا فيما أعطانا ، ونسأله ـ عز وجل ـ أن يجعلنا ممن يتقونه ـ سبحانه ـ ونسأله ـ جل فى علاه ـ أن يعفو عنا :

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا .

وصلى الله وسلم على نبيه الكريم ﷺ .

أسباب الانتقام والغضب

خلقنا الله ـ عز وجل ـ لغرض نبيل ولهدف سام ، ومن أجل عمل جليل ، ألا وهو عبادة الله ـ عز وجل ـ قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] .

ولذلك فإن الغاية من خلق البشر هو عبادة الله ـ عز وجل ـ وإن أى انحراف عن هذه الغاية هو انحراف الخلق عن الخالق . .

ولذلك وعد الله ـ عز وجل ـ المتقين الملتزمين بعبادة الله حق عبادته جنات عدن ، أما من ينحرف عن هذه الغاية فلقد فتح الله له أبواب رحمته حتى يتوبَ ، ولم لا ؟ فالله ـ عز شأنه ـ هو التواب الرحمن الرحيم ، فإذا لم يتب العبد فإن الله مُعذبه عذاباً شديداً ، وفى ذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [2] .

بل وكرر الله ـ عز وجل ـ هذه الآية مرتين ، بنصها فى سورة واحدة ، وهو مايدل على عظمتها وأهميتها ، فجاءت مرة أخرى فى الآية ١١٦ من سورة النساء .

فإذا كانت هذه هى الغاية من خلق الإنسان ، وكان الله هو الإله رب العالمين التواب الرحيم ، فلم لا يكون الإنسان عبداً شكوراً ؟ ، وخصوصاً بعد أن ينعم الله عليه بنعمة هى من أعظم النعم : ألا وهى نعمة الإسلام ، وكفى بها نعمة .

ولذلك يعلنها الله ـ عز وجل ـ صريحة واضحة جلية : أن من يشكر الله على النعم ، ومن يعبد الله حق عبادته لايمكن أن يكون مصيره مثل مصير المنحرف ، قال تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [3] .

إذن فالمقياس الأوحد لعذاب الله وغضبه وانتقامه هو ترمومتر عبادته ـ عز وجل ـ حق عبادته ، فعبادة الله ـ عز وجل ـ تجلب الخير والرخاء والتقدم ، والبُعد

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات

(٢) الآية ٤٨ من سورة النساء .

(٣) الآية ١٦٢ سورة آل عمران .

عن الله ـ عز وجل ـ يجلب الدمار وانتقام الله فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

سبحان الله ، فأهل القرى ـ بلفظ القرآن ـ تعنى جميع الناس : مسلمين وغير مسلمين ، ولذلك الحق الحق ـ سبحانه وتعالى ـ لفظ (ولو) بلفظى (آمنوا واتقوا) وبينهما أهل القرى ، وما أعظم الجزاء ، وما أسهل انتقام الله لمن لم يؤمن ويتَّقِ .

ولكن كيف يأتيهم انتقام الله ـ عز وجل ـ وغضبه ؟؟ . .

تتواصل الآيات البينات لتوضح أن انتقام الله ـ عز وجل ـ ليس له موعد ، وليس له شكل واحد أو صورة معينة ، بل هو متعدد متنوع ، فى أى وقت للظالمين ، فيقول الحق فى كتابه الكريم : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2] .

إذن فإن بأس الله وانتقامه يأتى أهل القرى ، الذين يُكذبون بآيات الله ولم يأخذوا بأسباب العبادة (الإيمان ـ التقوى) ، يأتيهم فى أى حين ، فمثلاً يأتيهم بأس الله وانتقامه فى :

١ ـ أثناء النوم : أى أثناء الغفلة عن ذكر الله ، ومعروف أن النوم راحة ، وقد يقرر الله أن تكون هذه الراحة ـ التى يظُنها أهل القرى ـ موعدا لانتقامه جل فى علاه .

٢ ـ أثناء اللعب : أى اللهو ، واللعب واللهو يميتان القلوب الذاكرة لله ـ عز وجل ـ العابدة للخالق ، فاللهو هو موعد مناسب لانتقام الخالق ، وحتى يبعثوا يوم القيامة وهم يلعبون ، فتكون عاقبتهم أشد بالعذاب المقيم فى جَهنم وبئس المصير .

---

(١) الآية ٩٦ من سورة الأعراف .

(٢) الآيات ٩٧ ـ ٩٩ من سورة الأعراف .

ففى لحظات الغفلة أو اللهو يأتى انتقام الله للذين لم يؤمنوا ولم يتقوا ، ولكن متى يكون هذا اللهو وهذا اللعب وهذه الغفلة ؟؟

إن الغفلة حقاً بالليل والناس نائمون ...

وإن اللهو ضحى والناس يلعبون ...

وسبحان الله !! ولكن ، لابد من البعد عن مسببات انتقام الله ، مسببات عذاب الله وبأسه ، وهى الغفلة واللهو . والبعد عن ذلك يكون بالإيمان والتقوى .

فعذاب الله ليس له موعد فى الدنيا ، أما فى الآخرة فهو عذاب دائم فى النار، أما فى الدنيا فعذاب الله يأتى فى وقت يحدده الله ـ عز وجل ـ ليحد من بطش المجرمين ، يقول الله ـ عز وجل ـ فى محكم التنزيل :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾(1) .

إذًا ، فعذاب الله يأتى بالليل والنهار ، فى كل وقت وحين ؛ لأن انتقامه ـ عز وجل ـ شديد .

وإذا كان عذاب الله شديداً ، فإن رحمته وسعت كل شيء ، فهو التواب الرحيم ، ولذلك يقول الحق : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾(2) .

إذن فعذاب الله ليس غاية ، بل هو وسيلة انتقام وغضب للمولى ـ عز وجل ـ من الكافرين ، وغير المتقين وغير الشاكرين ، فماذا يفعل الله بعذاب الناس إن آمنوا وشكروا ؟ ، حقا ، فالله ـ عز وجل ـ لاينتقم إلا من الكافرين وغير المؤمنين وغير المتقين وغير الشاكرين .

ولذلك ، فالله لا يُعذب الناس إلا بعد أن يرسل لهم النذير ، نعم لابد أن يرسل إليهم الرسل أولاً ، يقول الحق :

---

(1) الآية ٥٠ من سورة يونس

(2) الآية ١٤٧ من سورة النساء

﴿ مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (1) .

فالرسول إذن هو النذير ، حتى لا يكون هناك حجة للبشر بعدم المعرفة .

ومن لم يسمع كلام الرسول فإنه من المجرمين ، والله ينتقم أيضا من المجرمين ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (2) .

وإذا كان الإجرام صورة من صور الشرك بالله أو عدم التقوى ومسببا لعذاب الله وانتقامه ، فإن هناك صوراً أخرى من عدم الإيمان ومن عدم التقوى ومن عدم شكر النعم . ونستعرضها سريعاً :

١ - الظّلم :

والظُّلم أنواع : منه ظلم الإنسان لنفسه ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، وظلم الآيات والدين ، والظّلم يؤدى إلى ظلمات يوم القيامة ، ولكن له عذاب فى الدنيا أيضا ، يقول المولى - عز وجل - :

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ (3)

وعكس الظلم العدل ، وهو أقرب للتقوى ، فيقول الحق :

﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ (4) .

---

(1) الآية ١٥ من سورة الإسراء .

(2) الآية ٢٢ من سورة السجدة .

(3) الآية ٨٧ من سورة الكهف .

(4) الآية ٨ من سورة المائدة .

٢ـ التولى عن آيات الله وعبادته :

فنعمة عبادة الله لا تعادلها نعمة ، ومن يتولَّ عنها يُعذبْه الله عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ، وفى هذا يعلن الحق ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1] .

وهناك العديد من الآيات التى تتحدث عن ذلك ، ومنها :

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾[2] .

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾[3] .

﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾[4] .

٣ـ النفاق :

والنفاق ليس بعده ذنب إلا الكفر ، ولذلك يُعذب الله المنافقين فى الدنيا والآخرة ، بل يُعذبهم الله مرتين فى الدنيا جزاء بما عملوا ، فيقول ـ عز من قائل ـ :

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[5] .

---

(١) الآية ٧٤ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٦٧ من سورة الإسراء .

(٣) الآية ٥١ من سورة فصلت .

(٤) الآيات ٤٨ ـ ٥٠ من سورة الزخرف .

(٥) الآية ١٠١ من سورة التوبة .

٤ـ الكذب :

والكذب مضاد للصدق ، فإذا كان الصدق منجيًا من المهالك ، فإن الكذب مؤدٍ إليها ، ولذلك كانت عاقبة الكذب والمكذبين أليمة فى الدنيا وأليمة فى الآخرة ، قال المولى ـ عز وجل ـ :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١) .

بل وصف الله الحق المكذبين بنفس أوصاف المجرمين فى آيتين من سورتى النحل والنمل ، حين يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٢) .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾(٣) .

وحقا وصدقا : قال الله ـ جل فى علاه ـ :

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٤) .

كانت تلك أهم (وليست كل) أسباب ومسببات انتقام الله فى الحياة الدنيا من بنى آدم من البشر . ويجب علينا تجنب هذه الأسباب لنفوز برضا الواحد الأحد الفرد الصمد الجبار التواب الرحيم ذى الجلال والإكرام .

ولنر فى الصفحات القادمة بعضا من صور انتقام الله ـ عز وجل ـ فى الحياة الدنيا من المجرمين الكافرين والظالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

---

(١) الآية ١١ من سورة الأنعام .
(٢) من الآية ٣٦ من سورة النحل .
(٣) الآية ٦٩ من سورة النمل .
(٤) الآية ١٦٠ من سورة آل عمران .

صور انتقام الله عز وجل
وغضبه على المكذبين لرسله
وعذابه لهم فى الحياة الدنيا

هناك آيات عديدة تدل على انتقام الله ـ عز وجل ـ من المكذبين لآياته والمكذبين لرسله وأنبيائه ؛ ولذلك كان انتقام الله ـ سبحانه وتعالى ـ من هؤلاء المكذبين لرسله شديدا وبأنواع شتى من عذاب الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب أليم . فإذا كان إرسال الرسل والأنبياء لهداية البشر الذين ضلوا عن الطريق المستقيم ـ طريق الحق ـ ولجأوا إلى عبادة أصناف عديدة من الأصنام والأوثان والأزلام ، وابتعدوا عن عبادة الله الواحد الأحد ، فإن الرسل والأنبياء هم النُّذر ، وهم الهداية الإلهية للبشر .

فلقد كان انتقام الله ـ عز وجل ـ من هؤلاء الذين لم يهتدوا بالأنبياء والرسل شديدا وعنيفا ومتنوعا ، حسب الزمان والمكان والعبرة التى يقصدها الحق للناس من هذا العذاب وذلك الغضب والانتقام .

وسوف نتعرض لبعض هذه الصور من انتقام الله ـ عز وجل ـ وغضبه على هؤلاء الكافرين والمكذبين والضالين :

أولا : انتقام الله ـ عز وجل ـ من قوم نوح بالطوفان :

لقد أرسل الله سيدنا نوحًا ـ عليه السلام ـ لما عُبدت الأصنام والطواغيت ، وانهمك الناس فى الضلالة والكفر ، فبعثه الله ـ عز وجل ـ رحمة للعباد ، فكان أول رسول بُعث فى الأرض وبعث إلى أهل الأرض بعد آدم ـ عليه السلام ـ وظل نوح ـ عليه السلام ـ يدعو قومه ٩٥٠ عام للإيمان بالله تعالى ، فكذبه قومه ، فانتقم الله ـ عز

وجل ـ منهم ، وأمر عبده نوحا بأن يصنع الفلك ، وأنزل من السماء ماء وفجر ينابيع من الأرض ، ليغرق الكافرين والمكذبين والمجرمين .

وفى ذلك آيات عديدة فى القرآن الكريم تحكى قصة انتقام الله ـ عز وجل ـ من قوم نوح ـ عليه السلام ـ ومن هذه الآيات قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ [1] :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ .

وقال ـ عز وجل ـ أيضا فى ذلك :

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ

(١) الآيات ٩ ـ ١٧ من سورة القمر .

(٢) الآيات ١١٩ ـ ١٢١ من سورة الشعراء .

﴿ ... ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

وليس أدل على قوة انتقام الله ـ عز وجل ـ من إبادة الناس كلهم إلا من آمن بنوح ـ عليه السلام ـ وما آمن معه إلا قليل ، بل كان مع المهلكين زوجة نوح وولده ! !

ثانيا : انتقام الله ـ عز وجل ـ من قوم عاد :

وسبب الانتقام أن قوم عاد عادوا بعد الطوفان لعبادة الأصنام ، وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخمة ، فأرسل الله إليهم سيدنا هودًا عليه السلام . . فلم يستجيبوا له ، بل كذبوه ، فانتقم الله من قوم عاد بوسيلة أخرى هى : (الريح الصرصر العاتية) .

وفى ذلك يقول الحق فى كتابه الكريم : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۞ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾[2] .

وقال الحق : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۞ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] ، وقال الحق ﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴾[4] .

وقال الله ـ عز وجل ـ فيهم أيضا : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۞ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾[5] .

---

(١) الآيات ٣٩ ـ ٤٤ من سورة هود .

(٢) الآيات ٦ ـ ٨ من سورة الفجر .

(٣) الآيات ٣٩ ـ ٤١ من سورة المؤمنون .

(٤) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة فصلت .

(٥) الآيتان ٤١ ، ٤٢ من سورة الذاريات .

وقال الله - عز وجل - : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾(1).

وسبحان الله فى انتقامه الفظيع من الكافرين والمشركين والمكذبين غير المتقين !!.

ثالثاً : انتقام الله من قوم ثمود بالصيحة والتدمير :

وثمود هم قوم سيدنا صالح - عليه السلام - والذى أرسله الله - عز وجل - لقومه يدعوهم لعبادة الله ، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ، ولا يشركوا بالله شيئا ، فآمنت برسالة صالح طائفة ، ولكن كفر أغلب ثمود ، وهموا بقتله - عليه السلام - بل وقتلوا آية الله : ناقة الله التى جعلها الله حجة عليهم ، فانتقم الله منهم أشد الانتقام ، ويُحدثنا القرآن الكريم عن هذا الانتقام فى مواضع عديدة ، ولكن نركز منها على آية انتقام الله منهم فقط :

فقال تعالى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾(2) . وقال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾(3)

---

(1) الآيات ٦ - ٨ من سورة الحاقة

(2) الآيات ٧٧ - ٧٩ من سورة الأعراف .

(3) الآيات ٦٦ - ٦٨ من سورة هود

وقال المولى ـ عز وجل ـ : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (١) أى أن أهم شرطين فى النجاة من هذا العذاب : الإيمان والتقوى .

وقال الله الحق : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ (٢) .

وقال المولى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ (٣) .

ونلحظ هنا ، وفى آيات أخرى لقوم هود ولوط وموسى وغيرهم ـ عليهم السلام ـ أن الله نجى الذين آمنوا بالله واتقوا الله ، ونجاهم من عذابه الشديد وانتقامه المفزع ، وسبحان الله العظيم !! .

رابعاً : انتقام الله من النمرود :

والنمرود ملك أيام سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنه كفر بأنعم الله ، بل واعتقد أنه إله ورب للناس ، وحاجه إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأفحمه ، وفى ذلك يقول الحق :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

وأرسل الله ملكاً يدعو النمرود للإيمان بالله ، فأبى عليه ذلك ، ثم دعاه الثانية فأبى عليه ذلك ، ثم دعاه للمرة الثالثة فرفض النمرود الإيمان ، وقال النمرود : اجمع

---

(١) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة فصلت .

(٢) الآية ٣١ من سورة القمر

(٣) الآيتان ١٤ ، ١٥ من سورة الشمس .

(٤) الآية ٢٥٨ من سورة البقرة .

جموعك وأنا أجمع جموعى ولنر من ينتصر، وجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، فأرسل الله عليه جيوشا (من البعوض) بحيث لم ير النمرود وجيشه الشمس من كثافة هذا الذباب ، وسلط الله عليهم هذا الذباب ، فأكلت لحومهم ومصت دماءهم ، وتركتهم عظاماً بادية ، ودخلت واحدة منها فى أنف الملك ، فمكثت فى أنفه أربعمائة سنة عذابا من الله - عز وجل - فكان لا يستريح حتى تضرب رأسه بالنعال حتى تنفجر منها الدماء ، وظل يُعذب بكفره وغروره فى الدنيا حتى أهلكه الله تعالى وبئس المنقلب والمصير [(١)] .

خامساً : انتقام الله بحجارة من سجيل منضود من قوم لوط:

ولقد انتقم الله - عز وجل - من قوم لوط (ابن أخ سيدنا إبراهيم) - عليهما السلام - نتيجة قيامهم بارتكاب الفواحش والمنكرات وممارسة اللواط ، وهو فاحشة وساء سبيلاً ، وعندما أرسل الله - عز وجل - سيدنا لوطا - عليه السلام - لم يستجيبوا له واستمروا على غيهم وعتوهم ، فكان الانتقام فظيعا لانتهاك محارم الله .

فقال الله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [(٢)]

وقال الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [(٣)] .

---

(١) راجع : ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص : ١٨٥ ، طبعة دار اليقين بالمنصورة ، مصر .
(٢) الآيتان ٨٣ ، ٨٤ من سورة الأعراف .
(٣) الآيات ٨١ - ٨٣ من سورة هود .

وقال الله أيضا : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[1] .

وقال الحق ـ جل فى علاه ـ : ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] .

وقال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]

سادسا : انتقام الله عز وجل من قوم مدين بالرجفة :

وأهل مدين كانوا كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون شجرة تُسمى (الأيكة) وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما ، فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو رسول الله (شعيب) عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله ونهاهم عن هذه الأفعال القبيحة وإخافتهم الناس وقطع الطرق عليهم وسلب أموالهم بغير حق ، فآمن بعضهم وكفر أكثرهم ، حتى أحل الله بهم البأس الشديد . وفى ذلك يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[4] .

---

(١) الآيتان ٧٤ ، ٧٥ من سورة الحجر .
(٢) الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة العنكبوت
(٣) الآيات ٣١ ـ ٣٥ من سورة الذاريات
(٤) الآيات ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الأعراف .

وقال الحق أيضا : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[1].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

وانتقام الله ـ عز وجل ـ من أهل مدين كان شديداً ، ويدل على أهمية سلوك الناس ، وانتقام الله ـ عز وجل ـ ممن ينتهك محارمه ويكفر بنعم الله .

سابعاً : تدمير أصحاب الرس وقوم ياسين انتقاماً من الله لقتلهم الأنبياء بغير حق :

فلقد سحق الله بانتقامه وغضبه أصحاب الرس ،نظرا لقيامهم بأفعال الكفر والفسوق والعصيان .

فقال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾[3].

وقال الحق ـ عز وجل ـ : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾[4].

ثامنا : انتقام الله ـ عز وجل ـ من فرعون وإهلاكه هو وجنوده:

وفرعون طغى فى الأرض ، بل قال أنا ربكم الأعلى ، فأرسل الله ـ عز وجل ـ إليه سيدنا موسى بشيراً ونذيراً ، ولكنه كذب برسالته وظل فى طغيانه وكبريائه ، فأهلكه الله ـ عز وجل ـ هو وجنوده فى البحر غرقا .

---

(١) الآيتان ٩٤ ، ٩٥ من سورة هود .

(٢) الآيتان ١٨٩ ـ ١٩٠ من سورة الشعراء .

(٣) الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الفرقان .

(٤) الآيتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة يس .

وكان عذاب الله لفرعون ، وانتقامه منه فى الحياة الدنيا بسبب الكفر ، وبسبب قتله أبناء الذين آمنوا مع سيدنا موسى - عليه السلام - واستحياء نسائهم ، ورغم كل ذلك كان سيدنا موسى - عليه السلام - مؤمنا بانتقام الله - عز وجل - من فرعون وجنوده .

فقال المولى - عز وجل - :

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

ولما أراد فرعون القضاء على بنى إسرائيل الذين آمنوا برسالة موسى - عليه السلام - خرج اليهود بأمر الله من مصر ، فتعقبهم فرعون وجنوده ، حتى وصل اليهود بقيادة موسى - عليه السلام - إلى البحر، فأوحى الله - عز وجل - لرسوله أن : اضرب بعصاك البحر ، فانقسم إلى فرقتين كالطود العظيم ، فعبر الذين آمنوا وتعقبهم فرعون ، فانطبق عليه وعلى جنوده البحر فغرقوا أجمعين .

ويحكى لنا الحق - سبحانه وتعالى - فى كتابه العزيز هذه القصة ، فيقول : ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ (2) .

وقال - سبحانه - : ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۞ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ (3) .

---

(1) الآيتان ١٢٨ ، ١٢٩ من سورة الأعراف

(2) الآية ١٠٣ من سورة الإسراء .

(3) الآيات ٥٤ - ٥٦ من سورة الزخرف .

وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾[1] .

وقال ـ جل فى علاه ـ : ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ❁ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ❁ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ❁ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾[2] .

وقال المولى : ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ❁ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ❁ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾[3] .

تاسعا : صور من انتقام الله عز وجل من بنى إسرائيل على بغيهم وظلمهم :

ورغم النعم العديدة والآيات الفريدة والنجاة من فرعون وقومه ـ والتى منحها الله عز وجل لبنى إسرائيل ـ فلقد نجاهم الله ولم يشكروه حق شكره ـ سبحانه وتعالى ـ بل عندما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا لرسولهم ونبيهم : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، وكذلك أورثهم الله الأرض مشارقها ومغاربها ونعمها ، ولكن لم يحمدوا الله ولم يشكروه ، وكانت لهم عدة مواقف تدل على كفرهم بربهم وكفرهم بأنعم الله ، فحق عذاب الله وانتقامه منهم وغضبه عليهم . وصور انتقام الله ـ عز وجل ـ من بنى إسرائيل نجدها واضحة جلية فى القرآن الكريم .

ولنتابع صورا من هذا العذاب وهذا الانتقام :

فالصورة الأولى : قال الحق ـ عز وجل ـ : ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ

---

(١) الآية ١٣٦ من سورة الأعراف .

(٢) الآيات ٦٣ ـ ٦٦ من سورة الشعراء .

(٣) الآيات ٧٧ ـ ٧٩ من سورة طه .

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقال عز من قائل : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[2].

ورغم أن هذه الآية فى آل فرعون ، إلا أن بنى إسرائيل مشتركون معهم فى العذاب لظلمهم ، وهذا صنف من العذاب المتعدد والمتنوع ، بل صور متعددة من عذاب الله وانتقامه .

ثم يتناول القرآن الكريم صنفا آخر من عذاب بنى إسرائيل ، وهو التيه ، أى يسيرون فى الأرض إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً ، وصباحاً ومساءً ، وهو صنف جديد من انتقام الله ـ عز وجل ـ وجاء فى بنى إسرائيل فقط ، ولا تتصور ـ أيها المسلم ـ قسوة هذا العذاب وهذا الانتقام من الله ـ عز وجل ـ عندما تسير على غير هدى ليس يوما أو يومين بل أربعين سنة ، فبئس هذا العذاب ، اللهم ارحمنا منه .

وفى ذلك يقول الحق وهو أصدق القائلين :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۞ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا

---

(1) الآيات ١٣٨ ـ ١٤٠ من سورة الأعراف .

(2) الآيات ١٣٠ ـ ١٣٣ من سورة الأعراف .

خَٰسِرِينَ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

وهذه الآيات تضم هذا الصنف من صنوف عذاب الله - عز وجل - بجانب وصف بنى إسرائيل بأنهم كانوا قوما فاسقين ، فكان الانتقام رهيباً وجديدا على البشر .

ثم كان انتقام الله من بنى إسرائيل بأمرهم بقتل أنفسهم بأيديهم ، وبالصاعقة ، وما أفظع هذا الانتقام !! ولكن وصفهم القرآن فى هذا الموضع بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم :

وفى ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ

---

(1) الآيات ٢٠ - ٢٦ من سورة المائدة .

ٱلرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

ثم نجد صنفاً آخر من انتقام الله ـ عز وجل ـ من بنى إسرائيل ، وهو تقرير الذلة والمسكنة وغضب الله تعالى عليهم ، وهو من أعظم أنواع العذاب وانتقام الله أن يغضب على قوم ، فلا ينظر إليهم يوم القيامة ، ويعذبهم بالذلة والمسكنة فى الحياة الدنيا .

وفى هذا الصنف من عذاب الله وانتقامه من بنى إسرائيل ، يقول الحق :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[2] .

وأخيراً نصل إلى صورة أخرى من انتقام الله ـ عز وجل ـ من اليهود، وهم قوم سيدنا موسى ، ألا وهو انتقام الله من عبدة المال ، والمال جعل سببا للسعادة ، فما بالنا والله يجعله منقلبا بتعاسة غامرة شديدة !! والانتقام فى المال كان بصورة شنيعة وليست متدرجة ، وكان بالخسف ، خسف المال وخسف الأرض وخسف الثروة .

وفى ذلك فلنتذكر قصة قارون التى ذكرها الله فى كتابه العظيم ، وذكرها

---

(١) الآيات ٥١ ـ ٥٧ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٦١ من سورة البقرة .

واضحة مفسرة مفصلة ، فقال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۞ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۞ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (1) .

فإذا كانت تلك القصة لعاقبة قارون ، فلقد أكد القرآن الكريم أن العقاب كان شديدا رهيبا نتيجة الظلم وعدم شكر أنعم الله والفساد فى الأرض بهذا المال ، قال تعالى : ﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ

---

(1) الآيات ٧٦ ـ ٨٣ من سورة القصص .

﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] .

وسبحان الله - جل جلاله وعظم سلطانه ووسعت قدرته وتجلت عظمته - مالك الكون العظيم ، خالقه ومحييه ومميته ، إنه الحى القيوم ، ولذلك فانتقامه شديد وعذابه أليم وغضبه صاعق للسموات والأرض . .

وشاهدنا صوراً من هذا الانتقام والعذاب فى الدنيا لمن لم يصدق رسل الله وأنبياءه ، فحق عليهم سخط الله - عز وجل - وما أدراك ماسخط الله ، إنه عذاب من كل لون ، فى كل آن وحين ، ولنر آيات أخرى لانتقام الله وعذابه فى الدنيا .

***

(١) الآيتان ٣٩ ، ٤٠ من سورة العنكبوت .

صور أخرى لا نتقام
وعذاب الله تعالى فى الدنيا

ونحن أمام صور وآيات ومشاهد انتقام الله ـ عز وجل ـ من المكذبين والمجرمين، والتى رأينا بعض صورها ، فيما سبق ، وسنرى هنا بعضا من الآيات والصور لعذاب الله وانتقامه من المجرمين والظالمين والمكذبين والكذابين والتى ذكرها الله ـ عز وجل ـ فى أمثال القرآن الكريم ، وفى قصصه الذى هو أحسن القصص :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾(١)

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

ولذلك سنستعرض هنا فى إيجاز بعضا من تلك الصور :

١ـ انتقام الله ـ عز وجل ـ لحرمة بيته المحرم :

وذلك فى قصة أصحاب الفيل ، عندما أراد أبرهة ملك اليمن هدم بيت الله الحرام، وذلك ليتحول العرب إلى الحج فى كنيسته التى أقامها فى اليمن ، وجاء بجيش جرار ، وعلى رأسه الفيل ، وعسكر على مشارف مكة المكرمة ، فأرسل الله انتقامه على هذا الجيش فأباده، وحمى بيته الحرام من المجرمين الظالمين .

---

(١) الآية ٣ من سورة يوسف .

(٢) الآية ٢١ من سورة الحشر .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[1] .

٢ ـ انتقام الله تعالى بتدمير سد مأرب :

وذلك نتيجة للإعراض عن ذكر الله ، وكفر أهل مأرب بآيات الله ونعمه، ولذلك أرسل عليهم سيل العرم ، فدمر سد مأرب الشهير ، وأصبحت أرضهم الخصبة أرضا غير مباركة ، ومن يومها لم يستطيعوا بناء سد فى هذه المنطقة ، وتلك آية أخرى لانتقام الله ـ عز وجل ـ :

وفى ذلك يحدثنا الله فى كتابه الكريم فيقول ـ عز وجل ـ :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾[2] .

٣ ـ انتقام الله ـ عز وجل ـ لعدم شكر النعم :

فشكر النعم التى منحنا الله إياها واجب علينا ، وعدم شكر هذه النعم يؤدى إلى غضب الله علينا ، وبالتالى انتقامه منا وعذابه لنا .

والنعم التى أنعم الله علينا نعم لا تعد ولا تحصى ، ولو بوسائل العلم والتقنية الحديثة من كمبيوتر وخلافه، إنها نعم باطنة وظاهرة ، ولايعلمها سوى الله ـ عز وجل ـ ولنر هنا ـ وفى هذا المقام ـ بعض الأمثلة الطفيفة فقط للعبرة :

---

(١) الآيات ١ ـ ٥ من سورة الفيل .

(٢) الآيات ١٥ ـ ١٧ من سورة سبأ .

أ ـ نعمة الأمن :

وعدم شكر هذه النعمة يؤدى إلى الخوف والهلع وعدم الاستقرار ، وفى ذلك يمن الله ـ عز وجل ـ على قريش هذه النعمة الكبيرة ، ويطلب منهم مقابل ذلك عبادة الله الواحد الأحد ، وفى ذلك يقول ـ عز وجل ـ : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ * إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ * فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ * ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾[1] .

وفى قصة أخرى لعدم شكر نعمة الأمن هذه ، يحدثنا القرآن الكريم عن قصة القرى الآمنة التى دعت الله بأن يباعد بين أسفارهم ، ولم يشكروا نعمة الأمن فمزقهم الله :

وفى ذلك يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ * فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾[2]

ب ـ نعمة ذكر الله :

حقا ، فما أجملها من نعمة ، وما أعظمها من نعمة ، فبذكر الله تطمئن القلوب ، ولكن من أعرض عن ذكر الله ، فله عقاب وانتقام دنيوى فظيع لم يره قبل ذلك ، وهو الفقر والضنك .

وفى ذلك يقول الحق : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[3] .

---

(١) الآيات ١ ـ ٤ من سورة قريش .
(٢) الآيتان ١٨ ، ١٩ من سورة سبأ .
(٣) الآية ١٢٤ من سورة طه .

ج ـ الذلة والمسكنة لمن لايشكر أنعم الله :

وهذه آلام أخرى لعدم شكر أنعم الله الظاهرة ، والذلة والمسكنة تجعل الإنسان ذليلا أشبه بالحيوانات .

قال المولى ـ عز وجل ـ

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾(١) .

وكذلك يقول الحق فى كتابه الكريم ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾(٢) .

د ـ وباء الجوع والخوف :

وأنزل الله هذا العقاب على الكافرين بأنعم الله ، وفى ذلك يقول الحق فى آياته البينات : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(٣) .

هـ ـ الكفر ليس له عاقبة إلا العذاب فى الدنيا والآخرة :

وفى ذلك يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾(٤) .

---

(١) الآية ١١٢ من سورة آل عمران .

(٢) من الآية ٦١ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١١٢ من سورة النحل .

(٤) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة لقمان .

أى أن متاع الحياة الدنيا قد يكون من غضب الله تعالى ، وليس دائما دليلا على حب الله للإنسان .

و ـ الأولاد والأموال قد تكون نقمة للمنافقين :

ولقد حدثنا الله ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم عن عدة أحوال عن هذا الصنف من انتقام الله وعذابه فى الدنيا ، فيقول الحق ـ عز وجل ـ :

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [1] .

وياقوة هذا العذاب ، وذلك الانتقام من المنافقين ، حين يبتلى الله المنافقين بأولاد وبأموال تكون وبالاً عليهم فى الدنيا والآخرة ، والله على كل شىء قدير .

٤ ـ انتقام الله الفظيع : تحويل الكافرين والماكرين إلى قردة :

وكانت هذه الحالة من العذاب الفظيع فى إحدى قرى بنى إسرائيل ، والتى مكرت وتحايلت على تحريم العمل والصيد فى يوم السبت ، فانتقم الله منهم وحولهم جميعا إلى قردة ، ويا فظاعة غضب الله :

وفى ذلك يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [2] .

ويواصل القرآن الكريم القصة الكاملة لهذه الحادثة التى تحول فيها أهل القرية الماكر أهلها إلى قردة ترعى فى الجبال فقال ـ عز وجل ـ :

﴿ وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ

---

(١) الآية ٨٥ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٦٥ من سورة البقرة .

تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾[1] .

٥ ـ تبديل قول الله ـ عز وجل ـ :

وهذا الأمر من أشد الأمور التى يُعاقب الله ـ عز وجل ـ عليها عقاباً أليما فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ، وفى ذلك يورد لنا القرآن الكريم حديث أهل القرية ، الذين بدلوا كلام الله ـ عز وجل ـ فأنزل عليهم سخطه وعذابه فى الدنيا فقال تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[2] وقال عز وجل : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[3] .

٦ ـ زوال النعم لعدم شكر الله وللكفر بآياته :

وفى ذلك العديد من المواقف التى ذكرها الله ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم ، ومن ذلك :

قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[4] .

وبالطبع ، فهذه خاتمة لقصة الرجلين : الرجل الذى منحه الله جنتين من أعناب

---

(١) الآيات ١٦٣ ـ ١٦٦ من سورة الأعراف .
(٢) الآيتان ٥٨ ، ٥٩ من سورة البقرة .
(٣) الآية ١٦٢ من سورة الأعراف .
(٤) الآية ٤٢ من سورة الكهف.

محفوفتين بنخل ، وجعل بين النخل والعنب زرعا مباركا، وعندما سأله الرجل الآخر أن يشكر الله كفر بأنعم الله ، فعاقبه الله (كما توضح الآية الأخيرة من القصة المذكورة) بأن جعل هاتين الجنتين خاويتين على عروشهما .، وهذا مايؤكد أن زوال النعم رهين بعدم شكر فضل الله علينا فى هذه الأنعم .

٧ـ صورة أخرى :

وهناك العديد من الصور لا نتقام الله وعذابه ، والتى لا يمكن حصرها فى هذا المقام ، ولكن نتحدث عن أبرزها ، ونستعرض بعض صورها سريعا ، ومن خلال الآيات القرآنية الشريفة :

قال تعالى موضحا بعضا من تلك الصور : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ۞ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾[١] .

ـ ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۞ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾[٢] .

ـ ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾[٣] .

ـ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[٤] .

ـ ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن

---

(١) الآيات ٦٧ـ٦٩ من سورة الإسراء .

(٢) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الملك .

(٣) الآية ٣٦ من سورة ق .

(٤) الآية ١٣ من سورة فصلت

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

ـ ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[2]

ـ ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وغير ذلك من الآيات التى توضح جزاء الكافرين ، وجزاء أولئك الذين كفروا بأنعم الله ، وهؤلاء الذين لم يشكروا أنعم الله على البشر ، وهؤلاء الذين حاربوا الله ورسله وكانوا قوما ظالمين فاسقين ، أو منافقين أو مكذبين ...

كل هؤلاء حق عليهم عذاب الله ـ عز وجل ـ فحقا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[4] .

وحقاً ...

فمن عاد إلى المعصية فله عقاب شديد : ألا وهو انتقام الله ـ عز وجل ـ :

---

(١) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٢) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة لقمان .

(٣) الآيات ٥٠ ـ ٥٢ من سورة النمل .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الحج .

﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (١)

وحقاً . .

فهذه بعض جوانب انتقام الله ـ عز وجل ـ وغضبه على الناس ، وذلك لعدم تقواهم ، فاتقوا الله أيها الناس ، واتقوا الله أيها المسلمون ، واتقوا الله يا أولى الألباب، حتى لا يصيبنا عذاب الله وغضبه وانتقامه فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة!!! .

---

(١) من الآية ٩٥ من سورة المائدة .

السبيل للنجاة من انتقام الله
وغضبه علينا فى الحياة الدنيا

بعد أن استعرضنا بعض صور وآيات انتقام الله وغضبه وعذابه فى الدنيا ، لبعض الكافرين والمنافقين والمكذبين والظالمين ، وبعد أن أغفلنا عمداً أولئك الناس الذين آمنوا بالله ـ عز وجل ـ ولكنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين لعدم وضوح نوعية العذاب الدنيوى الذى ينتظرهم، وذلك مصداقاً لقول الحق عز من قائل :

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(١)

وهناك سمة ظاهرة للضالين الذين يحق عليهم انتقام الله وسخطه وعذابه لهم فى الحياة الدنيا ، وتظهر هذه السمة فى قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

وانتقام الله ـ عز وجل ـ قد لا يصيب الظالمين والكافرين فقط إذا كانوا أغلبية طاغية

---

(١) الآية ٢٨ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٢٥ من سورة الانعام .

فى المجتمع ، ولذلك فقد يشمل عذاب الله المؤمنين أيضا إذا لم يقوموا بواجبهم فى الدعوة إلى سبيل الله وإلى توضيح التوحيد والإيمان والإسلام للكافرين ، وإذا لم يقوموا بواجبهم فى النصيحة والدعوة إلى الله، وقد يكون هذا العذاب تكفيرا عن ذنوب المؤمنين أو ابتلاء من الله لعباده المؤمنين ، وفى ذلك يقول الحق ـ عز وجل ـ :

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

ولذلك وجبت علينا الدعوة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لا تصيبنا فتنة من الله ـ عز وجل ـ والفتنة ماهى إلا عذاب شديد وانتقام رهيب من الناس فى الحياة الدنيا ، وابتلاء يظهر معادن الإيمان ، فإذا دعونا إلى سبيل الله نجانا الله من انتقامه وعذابه ، فالدعوة إلى الله والإيمان به من أهم سبُل النجاة ، وفى ذلك يقول المولى ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم :

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢).

أى أن التقوى شرط من شروط النجاة بعد الإيمان .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٣) .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (٤).

﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ ﴾ (٥).

---

(١) الآيتان ٢٥ ، ٢٦ من سورة الأنفال

(٢) الآية ١٨ من سورة فصلت .

(٣) الآية ١٠٣ من سورة يونس .

(٤) الآية ٧٢ من سورة مريم .

(٥) الآية ٦١ من سورة الزمر

وحقا ، يقول الحق :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).

فالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتقوى الله من الحواجز الإلهية عن عذاب الله وغضبه وانتقامه الدنيوى للمؤمنين .

وحقا ...

فإن الله يُفرق بين الحق والباطل ، إذا قام أهل الحق بواجبهم ـ الذى شرعه الله لهم ـ فى الدعوة إلى الله ، فينصرهم الله بنصر من عنده، وفى ذلك يقول السميع العليم :

﴿ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣).

وقبل الدعوة إلى الله ، يجب علينا أن نؤمن بالله إيمانا يقينيا وراسخا يزيل الخوف من القلوب ، ويثبت بها اليقين الكامل بأنه لاخالق ولارازق ولا محيى ولا مميت ولانافع ولاضار ولا عالم إلا الله عز وجل ، وأن نؤمن برسل الله أجمعين ، وبكتبه كلها ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره، ونقيم حدود الله ونؤدى فروضه على الوجه الأكمل من صلاة وزكاة وصيام شهر رمضان ، وذلك كله لأن الله لم يخلقنا عبثا إنما خلقنا لحكم بالغة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤).

فالسبيل الوحيد للنجاة من عذاب الله وانتقامه فى الدنيا والآخرة هو الإيمان به

---

(١) الآية ١٠٤ من آل عمران

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

(٣) الآية ١١٠ من سورة يوسف .

(٤) الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

حق الإيمان ، وبذل الغالى والنفيس فى سبيل الله ، وأغلى شيء يمكن بذله فى هذه الحياة الدنيا هو بذل جهد دنيوى مع تعب وعرق وجهاد فى سبيل الله ، وذلك من أجل تبليغ دعوة الله ـ عز وجل ـ إلى كافة الناس : للمسلمين بالنصيحة ، ولغيرهم بنية الهداية ، وكذلك يجب علينا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...

ولذلك ، فتقوى الله واجبة فى السر والعلن ، ويجب علينا تقوى الله أينما كنا ؛ لأنه بتقوى الله ترق القلوب ويزداد الإيمان ، وما أحلاه من إيمان وعمل .

فأوصيكم ، ونفسى بتقوى الله فى كل آن وحين .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

واحذروا غضب الله وسخطه وبالتالى انتقامه منا فى الحياة الدنيا .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ والحمد لله من قبل ومن بعد .



أما بعـــد

فالحمد لله الذى هدانا واصطفانا للإيمان ، وما كنا لنؤمن لولا أن هدانا الله .

والحمد لله فى الأول والآخر ، على نعمة التوفيق ، وعلى نعمة التبصير، وعلى نعمه التى لاتحصى ولاتعد ، فهو القادر والظاهر والباطن العليم الحكيم .

وقد رأينا فى هذه الصفحات جوانب من الوصايا التى غطت كافة الموضوعات الإنسانية التى تهم المسلم ، والتى تحتاج إلى أجهزة كمبيوتر لفهرستها وتصنيفها وتبويبها ، وما قرأناه ما هو إلا قبس يسير من نور الوصايا الإسلامية الرائعة .

وقد كانت هذه سياحة دينية رائعة فى خضم معركة النصح والإرشاد، والوصية والوعظ، والخطب والحكم ، فى خضم خلاصة التنزيل وبلاغة الدعوة والتبليغ ، وعمق الحكمة العلمية والعقلية ... إنها خلاصة الإسلام : دين الحق ودعوة الإنسانية، ولو اتبعنا وصية واحدة منها لنجونا إن شاء الله من عذاب الدنيا وخزى الآخرة .

والوصايا الإسلامية لا تنتهى بثلاثين آية قرآنية مباركة ، أو بنحو خمسين حديثا شريفا لرسول رب العزة سيدنا محمد ﷺ أو بمائة وصية للخلفاء الراشدين والصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ والتابعين ـ رحمهم الله ـ لأن كل آية قرآنية من آيات الذكر الحكيم التى تزيد عن ٦٥٠٠ آية مباركة ، إنما هى وصية من الخالق البارىء واجبة الاتباع ، وكل قول أو فعل أو تقرير لرسولنا الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو وصية واجبة الاتباع والنفاذ ، وكذلك القول فى أقوال الصالحين والصحابة والتابعين ، ولم لا ؟؟ والرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ يخبرنا أن خير القرون القرن الذى

عاش فيه - عليه الصلاة والسلام - ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه ، وهكذا ، ولم لا ؟؟ والرسول المصطفى - عليه الصلاة والسلام - يوصينا (كما رأينا) بالحفاظ على سنته - عليه الصلاة والسلام - وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

فهذه الجملة من الوصايا واجبه . . الاتباع لأنها عهد وإخلاص للذمة من قِبَلِ من قالها ، حتى لا يكون للمسلمين حجة عند الله تعالى يوم الحساب .

و هذه الوصايا واجبة النفاذ فى كافة الأمور .

وأوصى نفسى ، وأوصى أخى المسلم القارىء الكريم بتقوى الله - عز وجل - وذلك بأن يكتب الوصية الشرعية بخط يده ، كما هى موجودة بهذا الكتاب ، ويضعها تحت وسادته ، حتى يُبرىء ذمته أمام الله عز وجل .

وأخيراً أعترف بالتقصير فى دعوة الحق : الدعوة إلى الله - عز وجل - الدعوة إلى سبيل الله - جل فى علاه - وأدعو الله - عز وجل - أن يهبنا القوة لتوصيل رسالته إلى العالم أجمع . هذا ، وما أصبت فمن الله ، وما أخطأت فمن نفسى والشيطان .

ولله الحمد من قبل ومن بعد ...

المؤلف

قائمة بأهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أبو بكر الجزائرى (منهاج المسلم) جدة ، دار الشروق ، ط ١١ ، ١٤١٢ هـ .

٣ ـ أبو بكر الجزائرى (العلم والعلماء) جدة ، دار الشروق ، ط٣ ، ١٩٨٦ م .

٤ ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (صحيح البخارى) بيروت ، الطباعة المنيرية وعالم الكتب ، بدون تاريخ .

٥ ـ البخارى (الأدب المفرد) الرياض ، دار الخانى، ١٤٠٩هـ .

٦ ـ أبو حامد الغزالى (إحياء علوم الدين) طبعتان : المكتبة التجارية الكبرى ، عالم الكتب ، القاهرة ، بدون تاريخ

٧ ـ أبو الحسن الماوردى (أدب الدنيا والدين) ، تحقيق مصطفى السقا ، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة ، بدون تاريخ .

٨ ـ أبو الحسين مسلم القشيرى (صحيح مسلم) بشرح النووى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، بدون تاريخ .

٩ ـ أبو الحسن الندوى (مختارات من أدب العرب) جدة ، دار الشروق ، ١٩٨٦ م، ط٣

١٠ ـ أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (رياض الصالحين) تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،١٤١٢هـ ، ط ٢٠ .

١١ ـ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدى (سنن أبى داود) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، بدون تاريخ .

١٢ ـ ابن خلدون (المقدمة) طبعتان : المكتبة التجارية الكبرى ، دار الشعب (دون تاريخ) .

١٣ ـ ابن منظور (لسان العرب) دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .

١٤ ـ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى (التنشئة السياسية للطفل) القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، ١٩٨٨ م .

١٥ ـ أمين الساعاتى (الرياضة عند العرب) جدة ، تهامة للنشر ، ط ١ ، ١٩٨٢م .

١٦ ـ تقرير المجلس القومى للثقافة (دور وسائل الإعلام فى التنشئة الاجتماعية) القاهرة ، ١٩٨٦ م .

١٧ ـ الحافظ أبو فرج بن رجب (اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى) الطائف ، مكتبة المؤيد ، ١٤٠٥ هـ .

١٨ ـ الحافظ ابن كثير (قصص الأنبياء) المنصورة ، دار اليقين ، بدون تاريخ .

١٩ ـ الحافظ ابن كثير (تفسير ابن كثير) بيروت ، دار القلم ، ج٤ ، بدون تاريخ .

٢٠ ـ حامد ربيع (نظرية القيم السياسية) القاهرة ، نهضة الشرق ، ١٩٧٤م .

٢١ ـ زيدان عبد الباقى (علم النفس الاجتماعى) القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٧٦م .

٢٢ ـ سعيد إسماعيل على (الفكر التربوى العربى الحديث) الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، مايو ١٩٨٧ م .

٢٣ ـ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (فتاوى وتنبيهات ونصائح) القاهرة ، مكتبة السُّنة ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ .

٢٤ ـ عبد الله بن جار الله إبراهيم الجار الله (كلمات مختارة : عقائد، أحكام ، مواعظ) مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ .

٢٥ ـ عبد الله شحاتة (علوم الدين الإسلامى) القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٨١م .

٢٦ ـ عبد الله بن ناصح علوان (تربية الأولاد فى الإسلام) القاهرة ، دار السلام ، ١٤١٠ هـ ، ط ١٧ .

٢٧ ـ عبد الوهاب النجار (الخلفاء الراشدون) بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٧ م .

٢٨ ـ عفيف طبارة (روح الدين الإسلامى) بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢٧ ، ١٩٨٨م .

٢٩ ـ عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

٣٠ ـ محمد بن جميل زينو (مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع) جدة ، مكتبة العلم ، بدون تاريخ .

٣١ ـ محمد بن عبد الرحمن الخميس (اعتقاد الأئمة الأربعة) الرياض ، دار العاصمة ، ١٤١٢هـ .

٣٢ ـ محمد عقلة (تربية الأولاد فى الإسلام) عمان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ١٤١٠هـ .

٣٣ ـ محمد على الصابونى (تفسير جزء عم) سلسلة مع أعلام المفسرين ، جدة ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، ١٤٠٢ هـ .

٣٤ ـ محمد فؤاد عبد الباقى (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) ، استانبول ، تركيا ، ١٩٨٤ م ، المكتبة الإسلامية .

٣٥ ـ المعجم الوسيط ، طبعتان ، إدارة التراث الإسلامى بدولة قطر، بدون تاريخ ، إبراهيم أنيس وآخرون ، دار إحياء التراث العربى، القاهرة ، بدون تاريخ .

***

المحتويـــات